الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار احمد دراية

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية قسم : تاريخ

تخصص: استعمار وحركات التحرر في افريقيا السنة :الثانية ماستر

التصنيف : .....

الرقم التسلسلي : .....

مذكرة بعنوان

التوسع الاستعماري الفرنسي البريطاني في تونس ومصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الاستعمار وحركات التحرر في افريقيا

من أعداد الطالبتين: تحت اشراف الاستاذ:

- حسنة هنية - احمد جلايلي

- يمينة الباشا

السنة الجامعية 1434- 1435ه/2013-2014م

شكر.....وتقدير

<<وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون>>فشكرا لك ربي،أنت خالقي، وأنت موفقي لإتمام هذا العمل المتواضع المنجز بالكد والاجتهاد

والتفكير وكان منك ربي العون والتدبير.....إنها بين قوسين رسالتنا،إن لم نقل مذكرتنا **أساتذتنا، أستاذاتنا،** أكيد مذكرتنا الآن هي بين أيديكم تنتظر التفاتة طيبة منكم أو كلمة حلوة من فمكم... فشكرا وألف شكر منا إليكم على اهتمامكم ومساندتكم وطيبة قلبكم

شكرا لك أستاذنا القدير، شيخنا الفاضل((**أحمد جلايلي**)) الذي حفنا بعطفه وروانا بعلمه وأنار طريقنا بتوجيهاته السديدة وسعة صدره وصبره إلى أن وصل بنا المقام لبلوغ المرام والوصول بهذا العمل لنقطة الختام.

كما نتوجه ونتقدم بخالص شكرنا وتقديرنا لكل الأساتذة بلجنة المناقشة... الذين تفضلوا بإلقاء ملاحظاتهم على هذا العمل وتصويباتهم لننال شرف االتلمذة على أيديهم.

شكرا لكل من أمد لنا يد العون وساعدنا من بعيد أو قريب في إعداد هذه الرسالة ولو بحرف أو بشطر كلمة..

حسنة ويمينة

إهـــداء

إلى معدن الصفاء والنقاء، وبر الأمان والحنان، ومهد الاطمئنان والعطاء **الأم الحنون** الغالية الغراء، التي كانت معي في السراء والضراء وأعانتني بأحسن وأجمل الدعاء،حفظها الله ورعاها من الشرور والأعداء.

إلى من صفاته تباهي الوجود، وعندي مثله غير موجود، إنه المعين وقرة العين، **أبي الحنون**، الذي كان ولا يزال بجانبي في كل وقت وحين، أغترف من بحره المتين، أطال الله عمره وزاد من نعمه وفضله .

إلى نبراس الحياة، ودليل الوجهة والجهات، الإخوة والأخوات، أبنائهم وبناتهم وازاجهم بارك الله فيهم وأسعدهم و إلى توأم الروح الساكن قلبي إنه الفارس و الحلم المطروح وسيكون عنوان دائم لرسالة ما بعد التخرج "**(رفيق دربي)**" مولاي أحمد.

إلى من اغترفت ولا زلت من بحره، وسقاني بعطفه وحنانه، ورواني بشغفه وحنين قلبه وأطربني بشعره ورقة كلامه حفظه الله لزوجته وفلذة كبده "أبنائه" وقاهم الله وحفظهم وأنبتهم نباتا حسنا "إنه صديقي محمد"، إلى معلمي وشيوخي وأساتذتي ببلدية عين امقل ولاية تمنراست... وإلى جميع أساتذتي الكرام خاصة أساتذة قسم التاريخ بجامعة أدرار

إلى من أنستني في دراستي، وواستني في محنتي، وشاركتني في غرفتي، وكانت من أجمل وأروع رفقتي، حفظها الله ورعاها وحقق ربي مناها. (ميمون مسعودة) وإلى كل أشقائي وشقيقاتي بدفعة 2014م تنظيم وعمل بجامعة أدرار وإلى كل الأشقاء والأحباب في مشارق الأرض ومغاربها.

إلى القاطنين بجوهرة البلدان عين امقل بتمنراست بطولها وعرضها، شرقها وغربها شكرا لكم.

حسنة

إهداء

إلى ينابيع الحنان.....المحبة والعطف

إلى من يعود له الفضل بعد الله تعالى في نجاحي .....إلى من علمني وارتشفت من بحر صدره و أعانني على ظروف الحياة رمز التضحية والإباء،"**أبي الفاضل**"

إلى من ثابرت وسهرت،تعبت وصبرت إلى نور قلبي وبهجة فؤادي رمز

المحبة والجنان....."**أمي الغالية**" إلى فرحة القلب وشموع البيت إلى من رافقوني وكانوا سندا لي إخوتي وأخواتي محمود، عبد اللطيف، فاطمة، حليمة وزليخة

إلى منى القلب وأجمل نغمة في الوجود أبناء أختي:قمر، جبرائيل،بدر، سلسبيل، مروة،محمد الحبيب، فرح وطارق زياد،وإلى زوج أختي محمود ، إلى زوجة أخي مريم والكتكوتة مريا،إلى أعمامي وزوجاتهم أطال الله في عمرهم عبد الكريم وعبد الرحمان،إلى عماتي كلثوم والزهرة وأولادهم،إلى خالاتي الأعزاء وأزواجهم وأبنائهم :فاطمة وعائشة، إلى أخوالي وزوجاتهم البركة وأحمد، إلى زميلاتي وصديقاتي في الدراسة وخاصة دفعة ماستر 2014،إلى كل من يحمل لقب الباشا وعكريمي والفائز إلى كل صديقاتي وإلى أغلاهم زهية وشهرة باموسى وابنها ريان،إلى حبيب قلبي وأنيسي ومذهب أحزاني وأهاتي ورفيق حياتي الذي أتمنى ألا أفارقه زوجي وحبيبي "**أحمد لمين**"، إلى الأم والأب اللذان لم ينجباني الزهرة وسالم، إلى إخوتي وأخواتي في بيت الثاني محمد، نور الدين، عائشة،رحمة، حسناء، سعيدة وإلى صديقتي حنة وابنها ظهير،إلى كل عائلة لمين، وإلى شيوخي وأساتذتي ببلدي وبدائرة رقان ،وإلى كل من يحبني أو يكن لي مشاعر صادقة وإلى كل قاطني قصر تيما دنين والمناصير

يمينة

مقدمة

مقدمة:

ان التمعن في تاريخ الدول الافريقية المعاصر،يلمس الكثير من الحقائق التي تطرح عدة تساؤلات ،يمكن ان تكون مواضيع دراسات معمقة ،منها المتعلقة بتاريخ تونس ومصر منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،ابان فترة الاستعمارية.

حيث تعرضت تونس ومصر للظاهرة الاستعمارية الحديثة ،فاحتلت فرنسا تونس وفرضت عليها الحماية (1881م_1956م)، وكذا بريطانيا فرضت حمايتها على مصر خلال الفترة الممتدة من (1882م_1952م) ،بحيث قامت كل من فرنسا و بريطانيا بإلغاء الحقوق الطبيعية المشروعة لكلا البلدين ،وذلك بإتباع سياسية استيطانية جائرة في حق الشعوب المستعمرة.

فتونس اخضعتها فرنسا لاتفاقية الحماية ،يوم 12ماي1881م التي لم تلغي النظام التونسي ، لكنها جعلته تحت تصرف المقيم العام الفرنسي الذي جرد بايات تونس من سلطتهم على البلاد، ولم يترك لهم إلا سيادة رمزية فقط ،وفيما يخص مصر وقعت تحت السيطرة البريطانية سنة 1882م التي توجت باتفاقية الحماية في 5اوت1914م، فالغت النظام السياسي المصري وجعلته تحت تصرف المعتمد البريطاني ، الذي له الحق في اصدار جميع القرارات، كما جعلت الخديوي اداة لخدمة مصالحها لانه ياخذ اوامره من المعتمد مباشرة .

ولم يكتفي كل من الاستيطان الفرنسي والبريطاني في حدود الاستلاب السياسي و الاقتصادي ،في البلدين بل لقد شنا هجوما واعتداءا لا يقل خطورة عن سابقه، الا هو استهداف الانسان التونسي والمصري في هويته ومقوماته الشخصية، محاولا استبدالها بثقافته وتقاليده ودينه،ولكن تلك الهوية رفضت من كلا المجتمعين، لان موروثهما السياسي و الثقافي و مبادئهما الذاتية حفظتهما من الذوبان في قيم المستعمر .

رغم كل مساعي هذا الاستيطان إلا ان الشعبين التونسي و المصري لم يرضخا ولم يرضيا بالظلم منذ الوهلة الاولى ، فاعتمدا على الكفاح المسلح ،والمقاومات الشعبية، فرفض الشعب التونسي معاهدة باردو وواجه القوات الفرنسية بكل ما يملك من قوة ،وكذا الشعب المصري الذي رفض هو ايضا التواجد البريطاني في بلاده فقاومه ببسالة ،ولكن عدم التكافئ في الامكانيات التسليحية ،افقد المجاهد التونسي والمصري قدرته على تحقيق النصر و تطهير وطنه من الغزاة.

رغم فشل المقاومة التونسية والمصرية في تحقيق آمال الشعبين ،لكنها عبرت بصدق وإيمان عن ارادتهما في الحرية و الكرامة ،و نبذ الاستعمار و القهر والحرمان، التي لم يستطع الاستدمار لها سبيلا ولم يقدر على ردعها، ثم تغير الاسلوب المسلح بفعل عدم التكافئ في العدة والعدد لينتهج اسلوب الحركة الوطنية التي اعتمدت الكفاح السياسي الذي ظهر بعد الحرب العالمية الاولى، بحيث تداخل الكفاحين الى ان استعاد كلا الشعبين استقلاله وسيادته التامة في النصف الثاني من القرن العشرين .

تندرج هذه الدراسة ضمن اطار تاريخ العالم العربي الحديث و المعاصر،لانها تتناول تاريخ تونس ومصر في الحقبة الاستعمارية ،من سنة 1881م الى1956م، فهما نموذجان من بين نماذج عديدة ذاقت ويلات الاستيطان الاوروبي خلال القرن التاسع عشر ،بداية القرن العشرين.

تطرقنا لدراسة الاستعمار البريطاني و الاستعمار الفرنسي بالتحديد لأنهما الاكثر توسعا في تاريخ الاستعمار، وأيضا لما خلفه كل منهما من اثار وخيمة في شتى المجالات ،بالنسبة للدول المستعمرة بعد الاستقلال .

الاشكالية

تتمحور الاشكالية حول عدة تساؤلات بخصوص ، التوسع الاستعمار الفرنسي و البريطاني في تونس ومصر والاسباب المسببة له كذا ردود الفعل والسياسة المتبعة بعد الغزو و سنحاول الاجابة عنها خلال دراستنا في هذه المذكرة منها:

- ما هي اهم الاوضاع التى ادت الى التوسع الاستعماري الفرنسي لبريطاني نحو تونس و مصر؟
- ما هي الاستراتيجية التي فرنسا وبريطانيا لاحتلال البلدين؟و كيف كانت ردود فعل السكان؟
- فيما تتمثل طبيعة السياسة الاستعمارية التي طبقتها كل من فرنسا وبريطانيا بعد اعلان الحماية في البلدين؟

اسباب اختيار الموضوع:

اجتمعت عدة دوافع جعلتنا نبحث في هذا الموضوع من بينها:

- زيادة الدراسة لمعرفة خفايا التوسع الاستعماري الفرنسي البريطاني والسياسة المنتهج في المستعمرات والمقارنة بينها.
- حب الاستطلاع والبحث في تاريخ الدول العربية الشقيقة في فترة الاستعمار لإثراء الرصيد المعرفي والمساهمة في البحوث العلمية في هذا المجال.
- اظهار الجوانب الخفية لسياسة الاستعمارية في تونس ومصر التي ترمي الى طمث الروح الوطنية ،والمقومات الشخصية الشعوب العربية الاسلامية في فترة الاستيطان.

اهداف البحث: تهدف هذه المذكرة الى دراسة السياسة الاستعمارية في كل نمن تونس و مصر،لإبراز جوانبها الخفية و معرفة اوجه التشابه والاختلاف السياستين الفرنسية و البريطانية في مستعمراتها.

خطة البحث:

ان هذه المذكرة تحتوي على مقدمة وثلاثة فصول ،وسبعة مباحث ، وخاتمة وملاحق ،وفهرس الاماكن والأعلام،و فهرس القبائل و المجموعات وفهرس الموضوعات.

فالفصل الاول معنون ب " **لمحة تاريخية لتونس ومصر قبل الاحتلال**" تناولنا فيه مبحثين ، فقد اعطينا في المبحث الاول **لمحة تاريخية عن تونس** ،درسنا فيها الاهمية الاستراتيجية للموقع ، بالإضافة للأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية قبل الاحتلال، اما المبحث الثاني تحت عنوان " **لمحة تاريخية لمصر**" ،تطرقنا فيه الى الاهمية الاستراتيجية للموقع ،ودراسة الاوضاع السياسية والاجتماعية و الاقتصادية لمصر قبل الاحتلال.

اما الفصل الثاني"**اخضاع البلدين للاحتلال**" فقد قسمناه الى ثلاثة مباحث:

فالمبحث الاول يدرس"**بداية الاحتلال**"، تحدثنا من خلاله على كيفية التوسع الاستعماري لفرنسا وبريطانيا في البلدين من بداية التدخل الاوروبي الى اعلان الحماية عليهما ،والمبحث الثاني **معنون ب** "**ردود فعل السكان والمقاومات الشعبية**" :درسنا فيه اهم المقاومات المسلحة الرافضة للتواجد الاستعماري في كلا البلدين التي جاءت كرد على مشروع الحماية الاستعمارية، اماالمبحث الثالث "**يندرج تحت عنوان السياسة الاستعمارية في البلدين** تناولنا في هذا المبحث النظام الاستيطاني المتبع بعد اعلان

الحماية في كل من تونس ومصر مع ابراز اوجه الاختلاف و التشابه بالنسبة للسياسة الفرنسية و البريطانية .

وفيما يخص **الفصل الثالث:**"**حركات التحرر في تونس ومصر واستقلال البلدين**" فيحتوي على مبحثين ، المبحث الاول بعنوان "**حركات التحرر في تونس ومصر**" تطرقنا من خلاله الى بروز دور الحركة الوطنية المتمثل في الكفاح السياسي الذي تبلور في البلدين بعد الحرب العالمية الاولى في نشر الوعي السياسي ومطالبة الشعبين بالاستقلال الكامل للبلاد.

المبحث الثاني" **استقلال البلدين**" **:** تناولنا فيه خضوع الدول الاستعمارية الى طاولة المفاوضات واعتراف بالسيادة الكاملة والاستقلال لكل من تونس ومصر و جلاء قوات الاحتلال منها .

و انهينا خطة ب**خاتمة** ذكرنا فيها اهم الاستنتاجات التي توصنا اليها

المنهج المتبع: ان طبيعة البحث تفرض على الباحث مجموعة من المناهج عليه اتباعها في ، ولقد اعتمدنا في دراستنا لموضوع البحث على ثلاثة مناهج هي:

المنهج التاريخي: الذي اعتمدنا عليه في سرد الوقائع ضمن نسق متسلسل ووصفها حسب المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة ،لذا وظفناه في دراسة الاهمية الاستراتيجية للموقع، ووصف المظاهر السياسية و الاقتصادية للبلدين ،مع سرد بعض الوقائع والأحداث التاريخية خلال الفترة المدروسة.

كما وظفناه في تحليل بعض المحطات التاريخية، مثل معاهدة باردوا من خلال خضوع الباي للسلطات الفرنسية ،وكذا خضوع الخديوي للقوات البريطانية.

المقارن :استعملنا هذا المنهج في تقصي الحقائق والمقارنة بين السياسة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية.

الصعوبات: لقد واجهتنا في هذا البحث عدة صعوبات من بينها:

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في دراسة هذا البحث و تضارب الروايات الوقائع والأحداث في بعض المراجع.
- ضيق الفترة الزمنية المحددة للبحث وعدم التفرغ الكامل للبحث الامر الذي اخر انجازه نوعا ما.

اهم المصادر و المراجع:لقد اعتمدنا في بحثنا على المصادر والمراجع منها:

أ) المصادر:

- العزيز الثعالبي : **تونس الشهيدة** ، ط1 ،دارالقدس ،بيروت ،1975 .
- عمر الاسكندري ،سليم حسن : **صفحات من تاريخ مصر**،**تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحضر**،ج6 ،ط2،مكتبة مدبول ، القاهرة 1996م .
- محمد الميلي:**المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامع الشعوب** ،دار الكلمة بيروت ، 1983م

ب)**المراجع:**

- محمد الهادي الشريف : **تاريخ تونس** ، ط2 ،دار سراس ،1993م.
- اسماعيل احمد ياغي و محمود شاكر: **تاريخ العالم الاسلامي الحديث و المعاصر** ،ج2 ، دار المريخ ،الرياض ،1993م.

- شوقي عطا الله الجمل: **تاريخ مصر المعاصر** ، "دن" ، "د س".
- Charles andr julien, l frique du nord nationalisme nusulmanset sauverinete, francaise, ed, jullaird France, 1972.

وأمام صعوبات هذه الدراسة ،لا يسعنا إلا ان نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل "**احمد جلايلي** "، اولا لقبوله الاشراف على هذه المذكرة ،و ثانيا لتقديمه لنا التوجيهات الموضوعية والمنهجية ،ونستسمحه لاقتطاعنا من وقته ،وله منا فائق الاحترام و التقدير ، ونرجو من الله أن يوفقه دائما لخدمة البحث العلمي.

الفصل الاول

لمحة تاريخية لتونس

ومصر قبل الاحتلال:

المبحث الاول :لمحة تاريخية عن تونس

المبحث الثاني:لمحة تاريخية عن مصر

تمهيد:

جعل التكالب بين الدول الاستعمارية على مناطق معينة من القارة الافريقية مركزا مميزا بالنسبة لموقعها ،وتحكمها في الملاحة البحرية او غيرها ،ودفع ذلك الدول صاحبة المصلحة للإسراع في استعمارها ،من اجل كسب العديد من الامتيازات التي تخدم مصالحها ،خاصة الاقتصادية من خلال توضعها في مواقع استراتيجية تسمح بذلك اضافة الى الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في القرن 18م ، زادتها شراسة يظهر جليا بالنسبة لكل من تونس ومصر اللتان تعرضتا للسيطرة الامبريالية في نهاية هذا القرن ،ومنه الى اي مدى ساعدت هذه الاوضاع الدول الاستعمارية في فرض سيطرتها على البلدين؟

المبحث الاول : لمحة تاريخية لتونس

اولا : الاهمية الاستراتيجية للموقع

تونس احدى الاقطار العربية الافريقية تقع شرق دول المغرب العربي ،وتطل على البحر الابيض المتوسط من الناحيتين الشرقية و الشمالية وهذا ما جعل منها موقعا استراتيجيا مميزا .

تقع تونس على ساحل البحر الابيض المتوسط من جهتي الشرق و الشمال بين خطي عرض 32°-37° شمالا خط الاستواء ،وبين خطي طول 75° و6-11° شرق خط غرينتش،ويحدها غربا الجزائر و ليبيا من الجنوب الشرقي، وتتبعها عدة جزر منها :جزيرة جربه و قرقنة، حيث يقترب شمال شرق تونس في جزيرة صقلية الايطالية ،مكونا مضيق صقلية تونس 140كلم الذي يعتبر الفاصل بين حوضي المتوسط الشرقي و الغربي ,و تبلغ

مساحتها حوالي 150-164 كلم² وبهذا فهي تعد اصغر دول الشمال الافريقي من حيث المساحة.[1]

بحيث كان لموقع تونس الجغرافي وبروزها في البحر الابيض المتوسط ،الى جانب طرقها الساحلية التي تربط بقية اقطار المغرب العربي بالشرق وأيضا الشرق بالغرب ، اثره في ان ظلت منذ عصور ماقبل التاريخ منطقة التقاء وتقابل لأنها في مفترق الطرق، فجميع

القوى التي سيطرت او حاولت السيطرة على المغرب الكبير اتخذت من تونس قاعدة لها لأنها تواجه حوضين الشرقي والشمالي للبحر التوسط.[2]

فموقع تونس المميز المطل على البحر المتوسط من الناحيتين الشرقية و الشمالية ، واحتوائها على مرفأ هام والمتمثل في ميناء بنزرت، يلعب دورا كبير في التنافس الاستعماري بين الدول الاوروبية الذي توج بالاحتلال الفرنسي سنة 1881م .

ثانيا:الاوضاع السياسية قبل الاحتلال

دخل العثمانيون تونس عام 1573م ،وانهوا حكم الاسرة الحفصية ،كما طردوا الاسبان الذين استنجد بهم اخر حكام هذه الاخيرة ، ووضع القائد **سنان باشا** نظاما للحكم في تونس ،يقوم على وال يمثل السلطان برتبة "باشا"،وهو رجل مدني يساعده مجلس استشاري ، يتألف من عدة ضباط،و موظف يشرف على الشؤون المالية يلقب "الباي"،و قائد عسكري برتبة رائد يحمل لقب "الأغا"،ويتبعه ضباط للفرق العسكرية، كل واحد منهم برتبة نقيب ويعرف ب"الداي"، غير ان الدايات قد استاثرو بالحكم دون والي ،و تعاقبوا على السلطة حتى عام

[1] عاطف عبد : الحضارات في الذاكرة "العالم العربي تاريخ وسياسة وحضارة (تونس)"،ج6 ،2003 2004، ص07.

[2] احمد اسماعيل راشد : تاريخ اقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا،تونس، الجزائر،المغرب، موريتانيا)،ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2004م ، ص87 .

1637م، حيث برزت سلطة الباي فتغلب على الداي،و تسلم الحكم بحيث ظهرت اسرتان من البايات،اولاهما الاسرة المرادية التي حكمت من 1637م _ 1702م، والثانية الاسرة الحسينية، وتعاقب الحكام منها من 1705م _ 1957م. [1]

وكان هؤلاء البايات يحكمون البلاد حكما مستقلا عن الدولة العثمانية، ولكن يعدون انفسهم تابعين لها من الناحية الدينية على اساس ان العالم الاسلامي وطن واحد،ولقد تعاقبوا على الحكم فتحقق على يد بعضهم الكثير من الاصلاحات العمرانية و الإدارية وتجلت الصبغة العربية حينما عملوا على تحويل المكتبات، بينهم وبين الدولة العثمانية الى اللغة العربية.[2]

ويأتي على راس البايات الذين تزعموا الحركة الاصلاحية "**احمد باشا**" الذي حكم (1839م _ 1856م) ، في زمنه بدأت حركة التنظيمات في الدولة العثمانية على عهد السلطان "**محمود**"،فقام الباي **أحمد** ببعض الاصلاحات في تونس ومن أهمها :انشاء مدرسة حربية، دعا اليها الضباط الفرنسيين ليعملوا اساتذة بها، و خبراء في الشؤون العسكرية والإدارية و والعمرانية اضافة الى ذلك انشا جيشا قوامه 25 الف رجل ،وكذا مصانع للذخيرة ،ودارا لصناعة السفن، وبناء اسطول تونسي اشترك مع الدولة العثمانية في حرب القرم ، كما شجع نشر العلم ،و اكرم العلماء ،وعمل على الغاء الرق.[3]

---

[1] محمود شاكر :التاريخ الاسلامي "التاريخ المعاصر ،بلاد المغرب" ،ج14 ،ط2 ، المكتب الاسلامي ،1996 ، ص121 .

[2] نفسه.

[3] اسماعيل احمد ياغي ،محمود شاكر :العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ،ج2 ،ط1 ،دار المريخ ،المملكة العربية السعودية ،1993 ،ص94 .

غير ان الحضارة المادية بهرته خاصة عندما سافر الى فرنسا ،فأعجب بالعمران الفرنسي و حاول ان يقلد قصر **فرساي** ،فبنى قصر المحمودية قرب مدينة تونس ادى هذا الى تدهور المالية اضافة الى السرقات التي قام بها بعض اعوانه وخلفه.[1]

لقد اخطأ الباي احمد الطريق عند تقربه من فرنسا ،ولم ينجح في تنظيم اقتصاديات البلاد، ففرض ضرائب باهضة على الشعب ،ولم يتمكن من الموازنة بين الدخل و الانفاق ،وخلفه اخوه الباي **محمد الثاني** الذي سار على نفس طريقته ،الامر الذي ادى الى تدخل فرنسا وفرض سلطانها علي البلاد ،حول الباي **محمد الصادق** تحسين الاوضاع الداخلية لتونس ،فعقد القروض الضخمة للقيام بالإصلاحات ،حتى بلغت الديون 150 مليون فرنك، وعجزت الدولة على تسديدها ،فساءت الاحوال المالية و اصبحت الظروف مهيئة للتدخل الاوروبي ، خاصة عندما بادر الباي للاستعانة بانجلترا وفرنسا و ايطاليا، ومنحها بعض الامتيازات بموجب مرسوم 1869 ،الذي يقضي بتاسيس لجنة لتوحيد الدين وتحديد فوائده، وادارة المرافق التي خصصت اراداتها للوفاء به.[2]

ثالثا :الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية :

لقد تضاعف عدد الساكنين في القرن الثامن عشر تضاعفا ملحوظا ، لانعدام الاوبئة من 1705م _ 1784م ،وتجمعت قوى البلاد الحية طوال اجيال ثلاثة ،فكانت حافزا منشطا للانتاج والاستهلاك والتجارة ،وذلك يفسر ازدهار سنوات 1765م _1775م ، المذهل الذي يعود الفضل فيه الى تضاعف عدد الرجال ، وتعاقب سنوات كانت فيها المحصولات الفلاحية طبية، والى حيوية السوق الخارجية و اتساعها ،ولئن احتكرت طبقة المحظوظين

[1] محمود شاكر :المرجع السابق ،ص121ـ 122 .

[2] محمد عبد الله عودة ،ابراهيم ياسين الخطيب :تاريخ العرب الحديث ،ط1 ،الاهلية للنشر ،عمان ،1993 ،ص80 .

جل ثمرات هذا الازدهار، فانه لن يخل من الانعكاسات الايجابية على حياة بقية افراد المجتمع.[1]

والى جانب هذا الازدهار المادي نشطت الحياة الثقافية ،وانتجت آثار يمكن الاستدلال بها لاثبات ان البلاد على اعتاب النهضة، منها كتاب "**المشروع الملكي في سلطنة اولادحسين بن علي التركي**" لمحمد بن محمد الصغير بن يوسف حوالي (1764م _ 1769م) ، وكتاب"**الباشي**" للأديب و رجل الدولة حمودة بن عبد العزيز حوالي (1775م _ 1778م) .[2]

ورغم عودة المجاعة في 1775م _ 1777م ،والطاعون الجاف في 1784م _ 1785م ، فان انطلاقة القرن 18م لم تنتكس في ذلك الوقت ،فقد لا تكون تلك الازمة سوى دليل على فائض ديمغرافي قد تجاوز مستوى الموارد المتوفرة في البلاد، ولعله لو يكن للوباء اثر يذكر بعد ذلك سوى اعادة التوازن بين عدد السكان وحجم الموارد.[3]

كانت تؤول الارباح الحاصلة من موارد المناشير الشاسعة ،و ارباح مختلف الاعمال التجارية خاصة تصدير منتجات البلاد ،الى طبقة السياسيين وعلى رأسهم الباي ،ثم يأتي بعد هؤلاء كل الموالين لهم من فقهاء ، كانو يقومون بالدعاية لهم ، وأعوان الباي وحلفاءه يستغلون خيرات البلاد، وشيوخ العشائر يركزون في مشيخاتهم على نفوذ الباي و هيمنته ، ولقد كان يوجد بتونس في ذلك العصر شبه برجوازية محلية ،على جانب من القوة وكانت اكثر فروعها نشاطا متصل بالأعمال البحرية من تجارة خارجية خاصة بيع الشاشية ، التي تسوق الى مختلف البقاع الاسلامية مابين نصف مليون ومليون قطعة سنويا، لكن البرجوازية اصطدمت بعقبات كانت تحول دون تقدمها، لأنها تلقى في السوق الخارجية منافسة جدية

[1] محمد الهادي شريف :تاريخ تونس ، ط3 ، سراس للنشر، تونس ،1993 ، ص92 .

[2] نفسه، ص92 .

[3] نفسه.

من قبل الأوروبيين ولم تستطع ان تركز سيطرتها على داخل البلاد بسبب مقاومة المجتمعات القبلية ،ولذلك وجب عليها ان تضع نفسها تحت ووصاية الدولة وان تشترك معها وبلغ هذا النظام اوجه ايام الباي **حمود باشا** ،المتعاطي مع التجارة والمشجع لها ،فاشتركت مع البايلك في سوق البحر المتوسط ،وكان لهذا الترابط بين السياسة و الاقتصاد سيئاته ، اضافة الى ان البرجوازية التابعة للسلطة معاقة عن التطور من جهة ، ومعرضة لتقلبات السياسية من جهة اخرى ، ويؤكد هذا انقلاب الاوضاع سنة 1814م _ 1815م .[1]

وتعتبر هذه التغيرات قليلة بالنسبة لشعب، وذلك من خلال الاستمرار في استعمال طرق العمل نفسها ، والحصول على نسبة انتاجية ضئيلة،قلما كان يسمح بفائض فلاحي او نقدي ، بحيث الحالة رهينة التغيرات الظرفية ، فإما الرخاء النسبي و الطمأنينة كما في بداية عهد حسين بن علي،او انكماش في الموارد وتضاعف التوترات كما حصل ابان الحروب الاهلية في النصف الاول من القرن 18م ،وظلت العامة مقهورة ومستغلة من قبل الدولة وأعوانها، لكن طلما كانت ظروف البحر المتوسط تسمح بتوفير مداخيل للبايلك وللأصناف الاجتماعية التي لهل علاقة بالنشاط البحري في فترات 1705م _ 1720م ،وفي 1782م _ 1814م فالاستغلال كانت تخف وطأته، وكان الاعيان يشتركون في الارباح .[2]

بداية القرن 19م لاتنذر الا بكل سوء ، ومن ذلك وفاة حمودة باشا في 1814م ،وانقراض الفريق الحاكم الذي كونه ،وايضاالكارثة بالنسبة للبلاد التونسية تتمثل في تغيير ظروف التبادل الاقتصادي مع اوربا،وهو تغيير فرضته سياسة مدفعية ،فكان انحطاط قيمة المنتوجات التي تصدرها تونس من(حبوب ،زيوت،شاشية ،وغيرها)،اي تحول مرابحها الى ايدي التجار الاوروبيين ،وحصل تضخم في الواردات ،وكان هؤلاء التجار ينفردون

[1] المرجع السابق ،ص93

[2] نفسه ، ص94 .

باستجلابها،ومن نتائجها خلل في المجال التجاري ،نزيف نقدي وتخفيض في العملة المحلية وصعوبات تعاني منها خزينة البايلك والطبقات المسيرة وكانهذا قبل سنة1830م .[1]

المبحث الثاني: لمحة تاريخية لمصر قبل الاحتلال

اولا : الاهمية الاستراتيجية للموقع

مصر ولاية عظيمة في الشمال الشرقي من افريقيا ،ودولة عربية مستقلة ،تتمتع بموقعها الممتاز عند ملتقى قارات العالم الثلاث افريقيا و اسيا وأوروبا ،هذا ماجعل منها مهد للحضارات منذ سبعة ألاف سنة ،و تشهد العديد من الحضارات القديمة في مختلف مناطق المحيطة بها.

تمتاز مصر بموقع جغرافي هام ، اذ تقع عند مجمع قارتي اسيا و افريقيا عند مفرق بحرين داخليين ،احدهما يمتد الى المحيط الهادي و مناطقه الحارة ،و الاخر الى المحيط الاطلسي و مناطقه الباردة لذلك كانت مصر ولا تزال ارض الزاوية التي تجتمع عندها مسالك الشرق و الغرب .[2]

تمتد مصر بين دائرتي عرض 22°– 31,18° شمال دائرة الاستواء ، وخطي طول 25°–37° شرق غرينتش ،و يتجه مدار السرطان في جنوب مصر مارا ببحيرة ناصر عند منطقة كلابشة جنوب اسوان بحوالي 75 كيلو متر ،وتقع حوالي ربع الاراضي المصرية في الجنوب والباقي في الشمال منه ،وهذا الموقع جعل مصر تتوزع بين العروض المدارية في الجنوب ،و العروض شبه المدارية و شبه المعتدلة في الشمال.[3] وتتوضع في الطرف

---

[1] المرجع السابق ، ص 95،96

[2] عاطف عبد الحضارات في الذاكرة "العالم العربي تاريخ وسياسة و حضارة " ،ج6 ، د دار النشر، 2003_2004 ، ص7

[3] محمد فريد فتحي :في جغرافية مصر، ط2 ،دار المعرفة ،2000 ،ص1

الشمالي الشرقي لقارة افريقيا ،وهي تمتد من البحر المتوسط شمالا الى الحدود المصرية السودانية جنوبا ،كما تمتد من الحدود المصرية الليبية غربا ، الى البحر الاحمر وخليج العقبة ،والحدود الدولية بين مصر و فلسطين شرقا بحيث تبلغ مساحتها حوالي مليون كيلو متر مربع ،وتنتمي مصر الى قارة افريقيا فهي جزء منها ،كما تضم مصر داخل حدودها جزء من قارة اسيا يتمثل في شبه جزيرة سيناء ،وهذا المعبر الارضي الذي تطل عليه منطقة الشرق الاوسط ، وأيضا تطل مصر على البحر المتوسط الذي اتاح لها ان تنتمي اليه ايضا.[1]

فموقع مصر الهام على البحرين المتوسط و الاحمر و اهمية التي اصبحت لها بعد افتتاح قناة السويس عام1869 كان وراء تنافس الاستعماري بين الدول الاوربية الذي انتهى بالاحتلال البريطاني لمصر سنة1882 الذي تمسك بالنفوذ في منطقة القناة .

ثانيا :الاوضاع السياسية في مصر

خضعت مصر لحكم الدولة العثمانية في اوائل القرن 16م ،واصبحت ولاية تابعة لها ،بحيث استفدت هذه الاخيرة من علمها و حضارتها،اذ انتقل مع السلطان الفنانون ،و المفكرون والعلماء الى اسطنبول ،بصفتها اصبحت عاصمة دولة كبيرة و مرك الحركة .[2]

حيث ظلت مصر ولاية عثمانية منذ ان فتحها السلطان **سليم الاول العثماني** عام 1517م ،إلا ان سلطة الوالي العثماني اخذت تضعف شيئا فشيئا في الوقت الذي اخذ

---

[1] محبات الشرابي : اقاليم مصر السياحية(دراسة في الجغرافية السياحية) ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1991،ص15 .

[2] اسماعيل احمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر ،ط1 ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،2000 ،ص234 .

المماليك يستعيدون سلطتهم على شؤون البلاد ،وأصبح هؤلاء يعزلون الوالي الذي لا يرضون عنه ،وغدا رئيسهم يلقب بشيخ البلد ،صاحب الكلمة العليا.[1]

ولم يصبح لسلطان العثماني في حقيقة الامر سوى سلطة اسمية ممثلة في وال ،و اضحى بكوات المماليك و اصحاب السيادة الحقيقية في البلاد ،ولكن رغم قوة هؤلاء كانوا منقسمين على انفسهم يتربص بعضهم البعض ،شعارهم الخيانة والغدر ونكث العهود ،وفي ظل حكمهم لم تعرف البلاد الاستقرار او الهدوء ،بل كان من الامور العادية ان يرى المصري احد هؤلاء يصارع مملوكا اخر للوصول الى مركز السلطة او الحكم ،وقد يحتدم القتال في شوارع القاهرة ، بل يمتد ليشمل القرى المصرية و لم يكن يعني اهل مصر من امرهم شيئا فجميع غرباء عن البلاد ولا تربطهم بهم اي صلة وكل ما كان يهمهم ان يحافظو علي حقوقهم من ان يمتد اليها عبث هؤلاء وان لا يكونو فريسة لإطماعهم ونزواتهم[2]

وتدهورت حالة مصر في اواخر القرن 18 تحت حكم البكوات تدهورت كثيرا ،بحيث بلغت الامور ذروتها من السوء في عهد حكم مراد بك وإبراهيم بك ،من الناحيتين الداخلية والخارجية ،فعلاقة مصر التجارية بدول اوروبا في عهد هذين الحاكمين تعرضت لشيء كبير من الاضطراب، فما يعقدونه اليوم من اتفاقيات تجارية ، وينقضونه غدا هذا فضلا عن ما تعرضت له تجارة الاجانب في مصر من سلب ونهب .[3]

وجاءت تقارير قنا صلة الدولة الاوروبية بسيل من الشكاوي من معاملة المماليك لتجارة الاجانب ولكل هذه الاسباب فكرت بعض الدول الاوروبية الكبرى في وضع يدها على مصر كجزء من مشروع تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ،وكانت التقارير التى يرسلها القناصل للجنرالات بمصر الى حكوماتهم تصف ما عليه البلاد من ضعف ووهن فلا استحكامات

[1] محمد عبد الله عودة ،ابراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص65 .

[2] محمد محمود السروجي :دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دط ،د ن،ص3ـ4 .

[3] نفسه ، ص14 .

عسكرية حقيقية ، ولا تحصينات دفاعية ذات قيمة ،هذا بالإضافة الى افتقار البلاد الى السلاح وفوضي المماليك وتنازعهم علي السلطة ونفور الاهالي منهم ،هذه التقارير شجعت حكومة فرنسا على التفكير الى تحدي في غزو مصر ، مستغلة ضعف الباب العالي ، وما عليه البلاد من فوضى وانحلال ، التى قامت بالاحتلال سنة 1798 ، و ساعدها علي ذلك معاداتها لانجلترا و محاولة ضربها في مصر ، ثم بعد جلاء القوات الفرنسية منها تعرضت للاحتلال الانجليزي سنة1882.[1]

ثالثا الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية في مصر:

في اواخر العصر العثماني غالى المماليك في ابتزاز من الاهالي وانغمثو في الترف من خلال مساكنهم وملبسهم ومعيشتهم، على غيرعادتهم الاولى المبنية على الخشونة و السذاجة في كل شيئ ، و اصبحت حلة البيك منهم لا تقل ثمنا عن 600جنيه ،ولا يمتطون الا خيول "نجد" العربية الاصيلة التي يبلغ ثمن احدها 300جنيه ،ولم يكن ذلك قصرا على البكوات انفسهم ، بل ان مماليكهم الذين لم يرتقو بعد الى مراتب الرياس كانت مراكبهم مزينة بأفخر الحرائر،ومرقشة من كل جانب بالذهب والفضة ، في حين ان المصريين الاصليين لا يسمح لهم ال بركوب البغال و الحمير، وصار اهل البلاد هم العبيد الحقيقيين، والمماليك هم الاسياد ، اذ استولو على كل الاملاك الا ما كان منها موقوفا على الاعمال الخيرية في وصاية العلماء.[2]

[1] المرجع السابق، ص15 .

[2] عمر الاسكندري، سليم حسن:صفحات من تاريخ مصر تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، ج6 ،ط2 ،مكتبة مدبول ، القاهرة ،1996 ،ص65،66

فقد تشعثت حالة الفلاح حتى اصبح رثا في ملبسه ومأكله ومسكنه ،ولا يكاد يفيق من دفع ضريبة شرعية او غير شرعية حتى يطالب بدفع اخرى،واذا امتنع عن الدفع ضرب وعذب حتى يدفع ،وربما يقتل من اجل ذلك.[1]

واختل الامن في تلك الايام ، وكثرت مناشر اللصوص وقطاع الطرق فتاخرت التجارة ،واهملت مرافق الزراعة ،وانقرضت معظم الصناعات وكانتقد دخلت الزراعة و الصناعة في طور تقهقر بعد ان نقل السلطان سليم اسهم المصانع الى القسطنطينية ،فقضى الفقر والاختلال الامني على البقية الباقية منها في اواخر القرن 18م ،كان تكرير السكر في بعض انحاء البلاد ،فالثروة التي كانت ترد متجزئة الى خزائن الامراء و تتجمع فيها تنفق متجزئة على من الاهلين بعد دفع الخراج ،الذي لم يكن كبيرا ولم يكن ظلم المماليك وتعسفهم ليمنعهم من الكرم و بذل الصدقات ،فكان كبار القوم يعيشون في رخاء و سعة ،وكانت بيوتهم مفتوحة للقدمين في الغداء و العشاء، وكانو في الاعياد يوزعون كثيرا من الارز و العسل و اللبن ،على الفقراء والمساكين كما يوزعون عليهم الحلوى ايضا في ايام الجمعة و المواسم.[2]

ولم يكن امراء المماليك وحدهم اصحاب القصور الفاخرة ،بل شاركهم فيذلك كثير من التجار، وكان بين المنازل الكبيرة المطلة على بركة الازبكية ،منزل التاجر الشهير"احمد الشرابي" غاية في الحسن،وكانت لهذه الاسرة ثروة طائلة وبيتهم يؤمه العلماء من كل جانب لاشتماله على كل ما يرغبه الطالب من الكتب، التي يعنون بجمعها من كل سوق ، ولا يبخلون على احد باعارتها لان اهتمام هته الاسرة و امثالها بجمع الكتب وتسهيل اعارتها يدل على اقبال الناس على العلم في تلك الايام.

[1] المرجع السابق ، ص67 .

[2] نفسه ،ص67

ويؤيد ميل الناس الى طلب العلم وذكر ذلك العديد من اهل العلم والتأليف الذين مهدو الطريق الى ذلك من بينهم "الجبريتي"في كتابه تراجمهم :من مشايخ و الاساتذة والعلماء والمؤرخين والشعراء وغيرهم ممن ليس لهم نظير،غير ان اشتغالهم كان قاصرا على دراسة قواعد العلوم اللسانية والشعرية والرياضية النظرية،فلا هم بالنهضة العلمية الاوروبية ولا هم رجعوا الى النهضة العربية القديمة التي جعلت عصر الرشيد والامين والمامون من عصور العلوم.[1]

[1]المرجع السابق ، ص68 .

الفصل الثانـي

اخضاع البلدين للاحتلال

المبحث الاول: بداية الاحتلال

المبحث الثاني :ردود فعل السكان

المبحث الثالث : السياسة الاستعمارية في كل من تونس ومصر

المبحث الأول : بداية الإحتلال

أولاً: في تونس : كانت السياسة الفرنسية ترمي إلى هدفين اتجاه تونس فهي أولا لا تريد أن تكون لها حدود مع الدولة العثمانية في تونس كي يفسح لها المجال للتدخل في هذا البلد، وفي الوقت نفسه لا ترغب أن يكون إنفصال هذه الأخيرة عن الدولة العثمانية قوة لها، إذ لا تستطيع عندها التدخل في شؤونها فهي كانت تريد قبل كل شيء إضعاف تونس بإبعاد العثمانيين عنها فيتدهور الوضع فيها[1] .

صممت فرنسا على ألا تسمح للباب العالي[2] باسترجاع نفوذه في تونس و ألا تعترف له بأي حقوق فيها ، فكانت ترسل أسطولها للمياه التونسية ، لكي لا تسمح للدولة العثمانية بالتدخل ، و أحيانا تهدد بلغة سياسة عنيفة وادعى الباب العالي أن تونس ولاية تابعة له، تسك فيها النقود باسم السلطان، وتلقى الخطب في الجوامع باسمه، و تقدم مساعدة عسكرية له، كلما اشترك في الحرب، و أن المعاهدة العثمانية المؤرخة في 1673 م ذكرت تونس ضمن ولاياتها، و استندت هذه الأخيرة إلى عدة حوادث أظهر فيها الباي ولاءه للسلطان كتقديمه معاونة عسكرية في الحرب، و اصدر مراسيم بتعيين الولاة الذين تعاقبوا على الحكم[3] .

أما فرنسا فقد أستندت إلى عدة حالات تثبت إستقلال بايات تونس عن السلطان ، فقد أرسلت إنذار إلى باي تونس بإزالة القرصنة في أواخر عام 1818 م . كما أبرم الباي

---

1 محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي ، التاريخ المعاصر في بلاد المغرب ، ط2 ، المكتب الاسلامي ، بيروت دمشق ، 1996 م ،ص 121 .

2 الباب العالي يقصدبه الدولة العثمانية، أنظر أحمد اسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة العربية،بيروت، لبنان، 2004، ص91

3 إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر ، تاريخ العالم الاسلامي الحديث و المعاصر قارة افريقية ، ج02 ، دار المريخ ، الرياض ، 1993 ، ص 97 .

معاهدة مع ملوك جزيرة سردينيا و صقلية عام 1823 م ، و سلمت حكومة الباب العالي سنة 1824 م بضرورة إبقاء الحالة على ماهي عليه في تونس ، ولم تعترف فرنسا برسوم 1871 م الصادر لباي تونس ، و سارعت إلى إعتباره لاغياً و ليس له قيمة قانونية[1] .

عملت فرنسا على دعم إستقلال البايات عن الدولة العثمانية وعدم نفوذها في تونس فاستقبلت الباي أحمد باشا إستقبال الملوك ، وتبادلت معه الأوسمة ، وازداد النفوذ الفرنسي في تونس ، ولكن قناصل إنكلترا شكوا من نفوذ القنصل الفرنسي الذي كان أكبر من نفوذهم، و أرسلت فرنسا إلى تونس 1870 م قنصلا قديراً اسمه " وسان " ليصلح ما أفسده إثر نكبة فرنسا على يد الألمان عام 1870 م فنجح نجاحا كبيراً [2].

شجعت ألمانيا فرنسا للتوجه نحو أفريقية لتبعدها عن التفكير في الإنتقام منها بعد هزيمتها أمامها، وطلبت ألمانيا من إنكلترا ترك فرنسا و شأنها في تونس[3]، فوافقت هذه الأخيرة .

وبعد المناقشة تطور موقف إنجلترا نحو التخلي لفائدة فرنسا و تعويضها باحتلالها لجزيرة قبرص و لتجنب سيطرة إيطاليا على ضفتي مضيق صقلية بين حوضي البحر المتوسط ، و في هذه الأثناء إستفادت إيطاليا من تحقيق وحدتها ومن هزيمة 1870 م الفرنسية ومن تكاثر الجالية الإيطالية في البلاد التونسية،[4] قامت إيطاليا بعرض الحماية الإيطالية على الباي و لكنه رفضها و طلبت منه التنازل عن ميناء بنزرت فأبى، و أبدت

1 إسماعيل أحمد ياغي ، مرجع سابق ،ج2، ص 97

2 نفسه.

3 محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 123 .

4 خليفة الشاطر و آخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال ، ج 3 ، مركز الدارسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية تونس، 2005 ، ص 10 .

رغبتها في أن يكون ميناء بنزرت ميناء حرا فلم يوافق، وفي المقابل رفض الباي أيضا مشروعا فرنسيا تمثل في تشكيل حلف دفاعي[1] .

خشيت فرنسا التأخر في التدخل في تونس، لأنه ليس من صالحا و فكرة الجامعة الإسلامية التي طرحها عبد الحميد تنمو بسرعة و أصبحت فرنسا تخشى على وضعها في الجزائر، وبدت الظروف مناسبة أممها للتدخل عندما عبرت إحدى القبائل التونسية الحدود الفاصلة بينها وبين الجزائر واقترفت بعض السرقات البسيطة المعتادة بين الرعاة، فأعدت حملة فرنسية ادعت أن مهمتها تأديب هذه القبائل التي لايملك الباي عليها أي سلطان، وفي 29 أفريل 1881م عبر الجنود الفرنسيين الحدود واحتلوا الكاف وطبرقة بدون مقاومة، كما أنزلت بعض قواتها التي أبحرت في ميناء طولون، وبعد احتلالهم لها تقدموا صوب العاصمة،وقام السفير الفرنسي بتقديم نسخة إلى الباي من المعاهدة يطلب منه التوقيع عليها، ومنحه مهلة خمس ساعات لقبول المساعدة أورفضها.[2]

معاهدة باردوا 1881 م

في 12 ماي 1881 م إضطر الباي إلى التوقيع على معاهدة قصر باردوا[3] تحت ضغط الجنرال " بريا " قائد جيش الإحتلال الفرنسي، حيث نصت هذه المعاهدة على حرية فرنسا في إحتلال المراكز التي تراها ضرورية لإستباب الأمن و السلام، و الإمساك بزمام الإدارة المحلية التي تراها لازمة لأداء مهمتها، كما فاضت المعاهدة الحماية الفرنسية على المصالح و الرعايا الفرنسيين بالخارج، و قيدت من حرية الباي في التعاقد مع الدول الأجنبية ، كما

1 محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 123 .

[2] اسماعيل احمد ياغي مرجع سابق، ج02، ص277

[3] معاهدة باردوا:نصت هذه لاتفاقية على حرية فرنسا في احتلال المراكز التي تراها ضرورة لاستتباب الامن والسلام والامساك بزمام الادارة المحلية، أنظر(حلمي محروس اسماعيل،تاريخ افريفيا الحديث والمعاصر،مرجع سابق، ج01، :د ن"، ،د س" ص251.او الملحق رقم 1ص81 ،82 .

ألزمته بعدم إدخال أسلحة أو مهاما عسكرية للبلاد حتى لا تتسرب للجزائر[1]، و كذلك نصت على تعيين وزير فرنسي مقيم في تونس لمراقبة تنفيذ ما تضمنته المعاهدة وبذلك فقد كانت هذه الإتقافية الحماية الفرنسية لتونس[2] .

وصرحت الدولة العثمانية بأنها لا تعترف بهذه المعاهدة وقبيل إلتقاء الجنرال بالباي بيوم واحد، إجتمع بمستشاريه، و بينهم عدد من رجال القضاء و الفتوى و انقسم الرأي بين الإستسلام و المقاومة ، ثم إنفض الإجتماع و خارج الباي غاضبا و قد أثر الاستسلام ، ووقع المعاهدة ، و عقب ذلك أعلن الكثير من الجيش التونسي العصيان و صمموا على الثورة و الجهاد.وهكذا احتلت فرنسا تونس.[3]

ثانياً في مصر: في منذ بداية القرن 19 م ومنذ أن اشتركت إنجلترا في طرد فرنسا من مصر و هي تسعى لوضع يديها على هذه البلاد ، فقد أدركت أكثر من قبل أهمية هذه الأخيرة بموقعها الفريد لها و خطورة وقوعها في أيدي قوة معادية وكان مجيء الفرنسيين لمصر في وقت كانت فيه العلاقات بين إنجلترا و فرنسا أشد ما تكون متوترة ، و لهذا لعب الإنجلتر دور هاماً في إخراج الفرنسيين من مصر ، لكنهم لم يستطعو البقاء فيها و الإبقاء على قوات كبيرة لهم، فاضطروا لسحب قواتهم منها سنة1803م[4].

ونتيجة لضعف الحكومة المصرية في مواجهة الدول الأجنبية في عهد سعيد باشا الخديوي إسماعيل من خلفاء محمد علي باشا، فقد مهد ذلك لقيام الحركة العربية التي فشلت في صد الإحتلال البريطاني، الذي تمكن من فرض سيطرته على البلاد سنة 1882 م، وقد

---

[1] شوقي عطا الله الجمل،عبد الله عبد الرازق إبراهيم،مرجع سابق،ج0،ص233.

[2] حلمي محروس إسماعيل ، تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر من الكشوف الجغرافية ، الى قيام منظمة الوحدة الإفريقية ، ج1،مؤسسة شباب الجامعة ، "د.ن" ، "د.س" ، ص 251 .

[3] نفسه

[4] شوقي عطا الله الجمل–عبد الله عبد الرازق ابراهيم، مرجع سابق، ج01، ص233

ساعد على ذلك منح امتيازات شركة قناة السويس في عهد سعيد باشا للمهندس الفرنسي " فرديناندليسس " وما تبع ذلك من الكوارث المالية و السياسية التي أصابت البلاد فيما بعد انتهزت إنجلترا فرصة الإفلاس الذي أوقع إسماعيل و سياسته المالية مصر فيها فتدخلت تدخل فعليا في شؤون البلاد باسم المحافظة على حقوق الدائنين من بين أتباعها، و ظهرت المنافسة بين إنجلترا و فرنسا في هذه الأثناء على النفوذ في مصر في الصور المختلفة التي اقترحتها كل من الدولتين لعلاج الأزمة المالية العصرية.[1]

ولما ساءت حالة الخزانة المصرية، وفقدت البيوت المالية الأروبية تفتها في مقدرة الحكومة المصرية على الوفاء بالتزاماتها المالية، سجع اسماعيل باشا بالتدخل الأجنبي الفعلي في البلاد المالية و محاولة إصلاحها و في سنة 1872 م وافق إسماعيل باشا علي إنشاء "صندوق الدين" الذي يضم مندوبين عدد الدول الدائنة و نقوم بالاشراف على المالية المصرية، بما يضمن دفع أقساط الدين المصري فكان يتسلم المبالغ المستحقة من إيرادات البلاد، وقيد ذلك من سلطة الحكومة المصرية في الشؤون المالية و الإدارية[2] .

وكانت حملة سندات الأجانب قد طالبوا حكوماتهم بحماية مصالحهم فتدخلت الحكومة البريطانية، و طالبت بممارسة إشراف ثنائي بريطاني فرنسي على المالية المصرية ورضخ الخديوي إسماعيل لقبول هذه المراقبة الثنائية فاختص المستشار الإنجليزي بمراقبة إيرادات الحكومية ، بينما اختص المستشار الفرنسي بمراقبة مصروفاتها و اشترك الإثنان في إعداد الميزانية السنوية، وكان ببريطانيا مركز مسيطر في نظام " الرقابة الثنائية إنضم إليها وزيران أروبيان أحدهما إنجليزي وهو مستر " ويلسون " الذي أصبح وزيراً للمالية و الآخر فرنسي وهو مسير "بلينير" الذي تولي وزارة الأشغال العامة[3].

---

[1] شوقي الجمل، عبد الله –عبد الرازق ابراهيم، مرجع سابق، ص314

[2] حلمي محروس إسماعيل ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 136 .

[3] نفسه.

المبحث الثاني:ردود الفعل في تونس ومصر

أولا :في تونس

مناطق المقاومة المسلحة:

1:في الشمال

بعد أن وقع الباي معاهدة باردو سنة 1881م مرغما مع الجيوش الفرنسية المحتلة لم يحتمل جيش الباي مقاومة العدو وخضع للفرنسيين[1]، فتفجرت المقاومة الشعبية ضد عدوين اثنين في آن واحد: ضد الباي وجنوده وضد المحتل الفرنسي، ومن جبال خمير وغاباتها وأوديتها وعلى طول الساحل ومن الصحراء بالجنوب وفي كل مكان من البلاد هب الشعب للمقاومة[2]، وتواصلت إلى فيفري 1882م[3] وبرز زعماء شعبيون في كل منطقة؛ فقد كان في جهة الكاف علي بن عمار قائد أولاد عيار، وفي جهة القيروان كان القائد حسين بن مسعي وعلي بن عمارة، ومن جهة القصرين كانت القيادة للحاج حراث، ومن جهة قفصة برز الزعيم الشعبي احمد بن يوسف ومن جهة صفاقس ثارت مدينة صفاقس بقيادة محمد كمون ومحمد الشريف، وفي قابس كان الزعيم البارز في حركة المقاومة هو علي بن خليفة الذي يعتبر من أشهر قادة حركة المقاومة الشعبية[4].

وقد شجع التونسيون على الثورة عاملان:

---

[1] عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**،ط01، تر وتق: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975م، ص 06.

[2] الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1954م)،ط02، دار المعرفة تونس، ص 27.

[3] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 23.

[4] عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، 03أجزاء، ط01، دار الغرب الإسلامي، 2005م ، ص 318.

1- قيام ثورة في الجزائر وهي ثورة بوعمامة في صيف 1881م.

2- إحساس التونسيين بأن القوات العثمانية المرابطة في طرابلس الغرب ستؤيدهم[1]،

إن الكتيبة الفرنسية التي تسربت من الجزائر يوم 24 ابريل 1881م بقيادة الجنرال "لوجيرو"[2] قد تمكنت من احتلال مدينة الكاف يوم 26 افريل، وسوق الأربعاء

في 29 من نفس الشهر، وعين دراهم يوم 11 ماي في حين كانت مدينة بنزرت قد استسلمت بدون مقاومة[3] منذ ماي 1881م[4].

لقد كانت قبائل خمير وسكان الجبال عموما في طليعة حركة المقاومة في شمال البلاد، فما إن سرى نبأ وصول السفن البحرية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون من أولاد بوسعيد والحوامدة وأولاد عمر بقيادة شيوخهم للمقاومة ولمواجهة الأعداء، ولم تتمكن قوات الاحتلال من الاستيلاء على المدينة في 26 أفريل 1881م إلا بعد قصفها، أما الفروع الأخرى من خمير فلم تغادر مواقعها بل بقيت لق طع السبيل على القوات الفرنسية القادمة من الجزائر وهي التي تصدت لكتيبة الجنرال "فانسندون" Vincendon في 26 افريل

---

[1] شوقي أبو خليل، **الإسلام وحركات التحرر العربية**،ط1 دار الرشيد، دمشق، 1976م، ص ص 109، 110.

[2] كانت هذه الكتيبة تضم 35 ألف جندي. أنظر : قدادرة شايب، **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934- 1954م (دراسة مقارنة)** ، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، 2007م، ص 48.

[3] يعود استسلام مدينة بنزرت للاحتلال دون مقاومة إلى موقعها الجغرافي المتقدم ودورها التجاري، ذلك أن موقعها يجعلها قريبة من الغرب ومفتوحة عنه، كما أن نشاطها التجاري وما يتطلبه من علاقات واختلاط أدى إلى امتزاج سكانها بالأوروبيين الأمر الذي جعلهم أقل عداء لهم من غيرهم في داخل البلاد. ينظر: التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881- 1939م)** ، كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس، 1992م ، ص 124.

[4] نفسه ، ص 123.

1881م. واعترفت السلطات العسكرية الفرنسية بأن أفراد هذه القبائل قد استماتوا في الدفاع طوال ساعات عديدة ولم يوقفوا القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة[1].

وبنفس الحدة واجهت قبائل مقعد وهذيل الغزاة الفرنسيين، حيث استولى أبناء مقعد يوم 28 افريل 1881م على سفينة حربية غرقت في عرض الساحل التونسي بين رأس سرات وميناء بنزرت، فنهبوها وأسروا من فيها،[2] وإثر ذلك طاف الشيخان داود بن سعد من المشارقة والحاج محمد بن أحمد من مشيخة العرب بالمنطقة لاستنفار السكان وحثهم على حمل السلاح، فاستجاب كل أفراد مقعد وهذيل لنداء المقاومة وأصبحوا على أتم الاستعداد لمواجهة الأعداء ، وهذا ما أكدته السلطات العسكرية الفرنسية نفسها عندما أشارت إلى أن قبيلة مقعد كانت برمتها في حالة عصيان في 12 ماي وانتشر أفرادها في سهل ماطر حيث التحق بهم متطوعون من هذيل وبجاوة ومشيخة العرب وجزء من سكان المدينة، ولم تتمكن قوات الاحتلال من القضاء نهائيا على مقاومة هذه القبائل إلا في بداية شهر جوان 1881م إذ استسلم أبناء مقعد واجبروا على تسليم أسلحتهم للعدو كما قدموا حوالي 20 رهينة تم سجنهم في مدينتي عنابة وتونس، كما التزموا أيضا بدفع غرامة حربية قدرها 12 ألف فرنك، وعمدت سلطات الاحتلال في نفس الوقت إلى نزع السلاح من أفراد هذيل وبجاوة وسكان ماطر[3].

ثم تواصلت المقاومة في جهة جندوبة بمشاركة قبائل أولاد بوسالم والشياحية وعمدون، وكانت هذه القبائل مدعمة بأبنائها من الجنود الذين فروا بأسلحتهم من معسكر علي باي في 29 ابريل 1881م للدفاع عن مواطنهم إثر احتلال سوق الأربعاء. وشهد سهل بوسالم في 30

---

[1] علي المحجوبي، ما يجب ان تعرف عن انتصاب الحماية بتونس، تع عمربن ضو واخرون، دار سراس، تونس، 1986، ص 46.

[2] التليلي العجيلي، نفس المرجع ، ص 125.

[3] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص 46، 47.

ابريل معركة عنيفة دارت رحاها في موضع يعرف ببن بشير حيث تواصل القتال من الساعة الثامنة صباحا إلى السادسة مساء، واضطر المقاومون إثر ذلك إلى التقهقر والفرار من ساحة المعركة نظرا للتفوق التقني الذي أظهره العدو، و لوصول تعزيزات هامة لقوات العدو[1]، واستشهد في هذه المعركة حوالي 150 تونسي. ورغم مقاومة قبائل مقعد وغيرها استطاعت القوات الفرنسية احتلال ماطر في 18 ماي 1881م وباجة في 20 ماي[2].

وقد توالت العمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية خاصة في المناطق الشرقية من تونس ورفضت القبائل الاعتراف بالحماية الفرنسية، حتى أن قوات الاحتلال كانت تحاذر المرور بأعداد قليلة داخل المناطق الصحراوية خوفا من ردود فعل مقاومة[3].

وقد تراجعت المقاومة لعدم توازن القوى ولافتقار المقاومين إلى الأسلحة العصرية ولغياب سند دولي إضافة إلى انهيار الدولة العثمانية والتخلف السياسي والاقتصادي[4].

وبعد أن خضع سكان المناطق الجبلية ظنت حكومة الجمهورية أن ملف القضية التونسية قد طوي وهذا ما حملها على التخفيض من قواتها العسكرية منذ 10 جوان بل ذهبت الى ابعد من ذلك فقررت حل جيش الاحتلال في 26 من نفس الشهر، إلا أن السلطات الفرنسية قد أجبرت مرة أخرى على تعزيز جيشها بالبلاد التونسية حتى تتمكن من التصدي للمقاومة التي انتشرت في الوسط والجنوب والساحل. وكانت القبائل في هذه المناطق كذلك

---

[1] قدادرة شايب، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

[2] خليفة الشاطر و آخرون، ج3 ص 23، 24.

[3] عاطف عبد ،المرجع السابق، ص 66.

[4] الهادي بكوش، **الاستعمار والمقاومة بين الأمس واليوم**، أعمال الملتقى الدولي حول: الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 36.

في طليعة المقاومة إذ لعبت "نفات" و"جلاص" و"الفراشيش"و" الهمامة" و" أولاد عيار" دورا حاسما في هذه الحركة[1].

وكانت المراسلة مستمرة ومنتظمة بين شيوخ هذه القبائل إذ حاول كل من علي بن خليفة قايد نفات والحاج حسين بن مسعي قايد أولاد يدير جلاص والحاج علي الحراث شيخ أولاد وزار فراشيش وأحمد بن يوسف قايد أولاد رضوان(همامة) وعلي بن عمار القايد السابق لأولاد عيار تنسيق جهودهم وتوحيد أعمالهم مكونين بذلك شبه مجل س قيادي لتسيير المقاومة، فاتسعت رقعتها بسرعة مذهلة، وامتدت إلى قبائل أخرى كالمثاليث وأولاد سعيد والسواسي وأولاد عون وغيرها. وفي هذا الظرف تجاوزت كل هذه القبائل خلافاتها وانقسامها للوقوف صفا واحدا في وجه الأعداء ولدرء الخطر الذي يهدد البلاد[2]، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك فقبلت أن يكون علي بن خليفة قايد نفات على رأس المقاومة لما عرف به هذا الرجل من حركية ونشاط، وقد عرفت هذه الحركة انتشارا واسعا منذ شهر جوان 1881م، وأصبح السكان يعيشون في حالة هيجان قصوى فاضطر الكثير من القياد إلى الفرار إلى مدينة تونس هروبا من تعنيت وتهديدات رعاياهم، كما شددت الرقابة على البعض الآخر حتى أصبحوا لا يتجاسرون على وضع حد لحالة الاضطراب التي تعيشها القبائل، وكل ذلك خوفا من أن تؤول مواقفهم وينعتون بالخيانة [3].

وقد تخلى الكثير منهم عن مناصبهم والتحقوا بالعاصمة لينضموا إلى جملة المسؤولين المحليين الذين تركوا مراكزهم عند إحساسهم بالخطر، وامسك حينئذ قواد المقاومة بزمام الأمور وتصرفوا كسادة حقيقيين في مناطقهم، وصاروا يهيئون السكان للدفاع عن البلاد ويحثونهم على المقاومة قبل أن تصل القوات الفرنسية إلى المناطق التي يراقبونها. وهكذا

[1] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 47.

[2] قدادرة شايب، المرجع السابق، ص 53.

[3] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص47.

فان جل قبائل البلاد التونسية كانت في شهر جوان 1881م في حالة انتفاضة عارمة، وقد اعترفت السلطة العسكرية الفرنسية نفسها بأن روح المقاومة كانت تختلج آنذاك في صدور رجال سكان الايالة الرحل وذلك خارج المناطق التي تراقبها قواتهم[1].

ولعل ما قام به أولاد سعيد ورياح خير دليل على ذلك، إذ حاولوا بدار الباي قتل الموظفين الأوروبيين التابعين لشركة استغلال ضيعة النفيضة رمز الاحتلال الفرنسي وقد أتت هذه المحاولة بعد فترة وجيزة من إبرام معاهدة باردو[2].

وقد تعرض الجيش الفرنسي إلى خيبات في شمال شرقي الحمامات، وذلك فيما بين 26 و 29 أوت وفي حين أشعل المقاومون النار في محطة وادي الزرقاء في 30 سبتمبر هوجمت فرقة عسكرية فرنسية بـ "تستور" في أوائل شهر أكتوبر وتكبدت خسائر جسيمة[3].

وكانت إستراتيجية المقاومة ترمي إلى منع جيش الاحتلال من محاصرة صفاقس من جهة البحر والوقوف في وجهه حتى لا يتوغل داخل البلاد، وقطع كل السبل المؤدية إلى مدينة القيروان. ولهذا الغرض توجه علي بن خليفة النفاتي الى صفاقس لتنظيم صفوف المقاومة[4].

02:المقاومة بالجنوب: صفاقس وقابس

[1] ، علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 48.

[2] قدادرة شايب، نفس المرجع، ص 54.

[3] أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر(1881- 1956م)** ، ط1،تع:حمادي الساحلي،الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986،ص34.

[4] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 48.

كان القسم الجنوبي من تونس هو المسرح الرئيسي للثورة وبخاصة في مدينة القيروان[1]، مما فرض على السلطة الاستعمارية جعلها تحت المراقبة العسكرية[2].

وقد ثارت قبائل الجنوب التونسي إلى الجهاد[3] وقاموا بثورة عارمة طوال فترة الصيف وجعلوا الاحتلال الفرنسي على وشك أن يطرد، مما جعل فرنسا تعيد غزوها من جديد للبلاد[4]، ومن القيروان امتدت الثورة إلى الساحل الجنوبي فاحتل الثوار ميناء صفاقس وطردوا منه نائب الباي الذي أصبح في نظرهم خائنا بقبوله التوقيع على معاهدة الحماية، ومن هنا حشدت فرنسا 50 ألف جندي[5] أرسلوا الى تونس تحت قيادة الجنرال سوسييه، وقد ركزت جميع الجهود للاستيلاء
على القيروان عاصمة الثوار[6].

لقد واجهت صفاقس الدخول الاستعماري بشدة رغم التفوق البين للعدو في العدة والسلاح [7]وقد عاشت صفاقس خلال شهر جوان 1881م في جو من الاضطرابات قام بها عامة السكان بالاشتراك مع جمع من قبيلة المثاليث، وكانت الشائعات الرائجة آنذاك حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد التونسية قد زادت في توتر الوضع في هذه المدينة مما بعث الفزع في الجاليات الأوروبية وكذلك في أعيان المدينة الذين يخشون عمليات النهب التي قد يقوم بها الأعراب في وضع يتسم بعدم الاستقرار، فلجأت عائلة نائب

[1] شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 110.
[2] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 141.
[3] عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 06.
[4] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 28.
[5] هناك من يذكر أن فرنسا أرسلت حملة عسكرية جديدة مؤلفة من 45 ألف جندي كاملي الاستعداد والعتاد لمواجهة المقاومة الشعبية. أنظر: الطاهر عبد الله، نفس المرجع، ص 28.
[6] شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 110.
[7] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 136.

القنصل الفرنسي بصفاقس في 25 جوان إلى باخرة "البشير"[1] التونسية لتطمئن الجاليات الأوروبية،و أنشأ القايد حسونة الجلولي بمعية الأعيان حراسا مدنيين لحماية الأوروبيين من غضب السكان وصيانة المدينة من الأعراب، كما بعثت لنفس الغرض السلطات الفرنسية بباخرة "Le Chacal" التي أرست بصفاقس في 27 جوان 1881م[2] فاندلعت الثورة يوم 28 جوان وتجمع السكان حول بن خليفة، وتعرضت المدينة إلى حصار منظم بالتعاون بين الدول المتوسطية الكبرى فرنسا وبريطانيا وايطاليا، في حين وضع الباي على ذمة القيادة الفرنسية ألف رجل فر معظمهم من صفوف الجيش النظامي والتحقوا بالمقاومين[3].

وفي 29 جوان 1881م هاجم الثوار القايد حسونة الجلولي لتواطئه مع الفرنسيين ولم ينج هذا الأخير من غضب السكان إلا عندما احتمى بزاوية سيدي علي الكراي قبل أن يلتحق سرا في 01 جويلية بمعونة أعيان المدينة بإحدى سفن الأسطول الفرنسي التي رست في نفس اليوم بصفاقس ضمن المدد الذي بعث به "روستان" بالاتفاق مع الوزير الأول مصطفى بن إسماعيل اثر اضطرابات 28 جوان 1881م لقمع المقاومة التي كانت تتأهب لحماية المدينة من الغزو الفرنسي[4].

وقد تأسست لجنة للدفاع على مدينة صفاقس تضم 40 عضوا من أصيلي صفاقس و 10 من المثاليث تحت رئاسة محمد الشريف ضابط المدفعية بحامية صفاقس التي انضمت إلى المقاومة مع قائدها محمد معتوق وبمساندة الشيخ محمد كمون بينما أقبل إلى صفاقس عدد كبير من الأعراب لتعزيز المقاومة، ووصل علي بن خليفة النفاتي إلى ضواحي هذه المدينة في بداية شهر جويلية في عدد كبير من أبناء قبيلته، ومنها صار على اتصال دائم

[1] باخرة قديمة من بقايا أسطول الباي. أنظر: قدادرة شايب، المرجع السابق، ص 54.

[2] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 48.

[3] احمد القصاب، المرجع السابق، ص 27، 29.

[4] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 49.

بقبائل المثاليث والسواسي وجلاص. كما بعث برسل لساحل سوسة وقبائل أولاد سعيد ورياح وطرابلسية زغوان، وبفضل الدعم الذي لقيه من نفات وبني زيد والمثاليث صار علي بن خليفة القائد الفعلي لصفاقس واعترف سكان المدينة بنفوذه وسلطته، وطرحت عليه لجنة الدفاع عن المدينة كل المسائل الدقيقة والعويصة التي يمليها الموقف، كما اعترف أعيان المدينة بعد فترة طويلة من التردد والمراوغة بسلطته إذ رأوا فيه الرجل الوحيد القادر على حماية أملاكهم من عمليات السطو والنهب التي يمكن أن يقوم بها البدو المرابطون بصفاقس وضواحيها[1].

وقد امتدت مقاومة صفاقس للغزاة بين 5 و 16 جويلية وصمدت أمام قصف الأسطول الفرنسي واستبسل المقاومون في ترميم الأسوار وفي المعارك إلى النهاية،[2]غير أن المقاومة لم تستطع الصمود طويلا أمام الأسطول الفرنسي الذي بلغ أوجه في 14 جويلية، حيث ضم 17 سفينة حربية و 6000 جندي وذلك نظرا للتفاوت التقني بين أسلحة الثوار التونسيين وسلاح قوات الاحتلال، فسقطت مدينة صفاقس في 16 جويلية 1881م بعد قصف دام عدة أيام وتواصل طوال 15 جويلية وذلك رغم ما أبداه رجال المقاومة من بسالة وشجاعة أدت إلى هلاك عدد كبير منهم بلغوا حوالي ألف شهيد[3].

غير أن احتلال صفاقس لم يضع حدا للمقاومة فقد انسحب علي بن خليفة وأتباعه إلى مسافة تبعد 50 كلم عن المدينة واستقروا بوادي مدران وبقوا على اتصال برجال جلاص الذين كانوا يدافعون عن القيروان ورجال الهمامة الذين كانوا يناوشون الفرنسيين بقفصة[4].

[1] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 49.

[2] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 26.

[3] نفسه، ج3، ص 26.

[4] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 32.

لما علم المقاومون بأن الاسطول الفرنسي يزحف على قابس وجربة بعد احتلاله مدينة صفاقس جهزوا انفسهم استعدادا للمقاومة، وفي 22 جويلية 1881م أرست سفينة حربية فرنسية على شاطئ قابس ونزل منها عون تونسي للاطلاع على الوضع، وفي هذا الوقت كان المقاومون يعقدون اجتماعا بجامع المنزل[1]،

بحضور قاضي ومفتي هذه البلدة الجيلاني الحبيب، وكذلك جمع من أعيان "جارة" يتقدمهم وكيل جمعية الأحباس الحاج أحمد بن جراد الذي دعا الجماعة باسم الواقعية إلى الخضوع لقوات الاحتلال، غير أن هذا الاقتراح قد قوبل بالرفض من طرف جل الحاضرين، وجاء خبر أثناء الاجتماع مفاده أن الجيش العثماني قد نزل بطرابلس وانه سيحل عن قريب بقابس، فزاد ذلك في عزم الجماعة على مقاومة الاحتلال، وأصبحت "المنزل" مركزا للمقاومة يقبل إليها المقاومون من جميع قرى واحة قابس مثل شنيتي وغنوش وبوشمة ووذرف والمطوية والحامة وكذلك من قبائل نفات وبني زيد وحازم وورغمة، كما التحق بصفوف المقاومة جمع من فقراء"جارة"[2].

ووصل الأسطول الفرنسي إلى قابس التي قصفها بحرا [3] يوم 24 جويلية 1881م حيث بدأ في قصف "المنزل" واستقبل أعيان "جارة" في مدخل القرية جنود العدو الذين انتصبوا ببرج هذه البلدة ليطلقوا النار على الثوار المتجمعين بالمنزل، ورغم ذلك تمكن رجال المقاومة من اكتساح السوق بجارة حيث دارت معركة بينهم وبين الجنود الفرنسيين انتهت بعودة هؤلاء إلى معسكرهم الكائن على الشاطئ، إلا أن قوات الاحتلال أعادت الكرة في 26 جويلية بقيادة الكولونيل "جامي" Jamais وتمكنت من احتلال جارة[4].

---

[1] بلقاسم بن محمد بن جراد، المرجع السابق، ص 232.

[2] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص 49، 50.

[3] خليفة الشاطر واخرون، المرجع السابق، ج3، ص 26.

[4] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 50.

ولم يحد ذلك من عزيمة المقاومة التي تواصلت في بقية قرى الواحة مكبدة العدو خسائر في العتاد والأرواح وصمد الثوار لمدة تزيد عن الأربعة أشهر واصلوا فيها مناوشة سكان جارة الخاضعين للعدو وكذلك القوات الفرنسية[1]، وقد استسلمت قابس نهائيا يوم 24 نوفمبر 1881م بعد جهاد عنيف وطويل وبعد أن أصبحت المدينة خرابا وخصوصا منطقة المنزل، حيث دامت المقاومة كامل شهر اكتوبر، وبعد هذا التراجع تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على البلاد واخضاعها والقضاء على الثوار المقاومين وقد فر البعض منهم الى الجنوب والى الحدود الليبية والى جبال مطماطة[2].

بعد استسلام مدينة قابس تواصلت المقاومة في المطوية ووذرف والحامة الى شهر ديسمبر 1881م، وسيطرت فرنسا على كل الجنوب التونسي ولم تبق الا منطقة المزاريق "دوز" التي بقيت الى سنة 1882م حيث اكملتها فرنسا وسيطرت عليها[3].

وتمثل أحداث تالة سنة 1906م انتفاضة اندلعت في وسط قبلي بعد خمود العمل الوطني وسوء الظروف المعيشية لقبيلة الفراشيش التي استولى الاستعمار على معظم أراضيها واضطروا إلى أكل الحشائش البرية بعد أن عمت بينهم المجاعة وفي المقابل كان المعمرون يعيشون ظروفا حسنة مسلطين على الأهالي أصناف المعاملات القاسية[4].

ثانيا في مصر : قام الشعب المصري بنضاله الوطني عندما تولي الحكم الخديوي عباس حلمي الثاني 1892 م خلفاً لولده توقيف وكان الخديوي عباس متعاطفا مع الوطنين، وكان الوطنيون المصريون يدعمون الخديوي عباس ويشدون أزره، وقد كان من نتيجة ذلك أن

---

[1] .نفسه.

[2] بلقاسم بن محمد بن جراد، المرجع السابق، ص 235، 236.

[3] نفسه، ص 240.

[4] **انتفاضة الفراشيش 1906م، ثورة ذات طابع قبلي ريفي وأبطالها فلاحون**، يومية الشروق (يومية مستقلة جامعة)، تونس ، 2005م، الساعة 00.00.

بعثت الحركة الوطنية مرة أخرى، (قامت حركة وطنية في عهد محمد علي وقادها أحمد عرابي وتدعى بالثورة العرابية)، وذلك بجهود جمال الدين الأفغاني[1] و تلميذه الشيخ محمد عبده [2]اللذان لعبا معاً دوراً في نوعية الشعب المصري تعبئة شعور الوطني، بفهمه للإسلام، وزاد إنتعاش الحركة الوطنية بظهور مصطفى كامل[3] على مسرح السياسة المصرية، وقد بدأ عمله الوطني منذ أن كان طالباً في مصر بالمدرسة الثانوية إذ كان ينشر في مجلة المدرسة مقالات تتعلق بالقضايا الوطنية، وواصل نشاطه هذا وهو طالب في كلية الحقوق في فرنسا.[4]

إستطاع مصطفى كامل أن يثير قضية فرض الحماية البريطانية على الصعيد العالمي و أن يكسب الرأي العام الأوروبي إلى جانب مصر، وقد واصل عمله بعد رجوعه إلى مصر، وحصر مطالب الشعب في أمرين "الجلاء و الدستور" و أصدر جريدة اللواء سنة 1900م و تجلى نضاله في الخطابة و الكتابة باذلا أقصى الجهود في جذب إهتمام الرأي العام العالمي نحو عدالة القضية المصرية، وجعل همه التنديد بالإستعمار و مساوئه و مطالبة الإنجليز بتحقيق و عودهم في الجلاء متخذا شعارا وطنيا " مصر للمصريين " و

---

[1] جمال الدين الأفغاني (1254-1314هـ) (1839-1897) أفغاني الأصل، شريف النسب، ينتمي إلى الحسن ابن،جمع الى شرف النسب عزة السيادة، فقد أهل بيته سادة على عمل من أعمال أفغان،أنظر(احمد أمين،زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، "د س"، ص59، 60.

[2] الشيخ محمد عبده: (1266-1323هـ) (1849-1905م) نشا في قرية من قرى الارياف، كما ينشا ابن كل فلاح في ذلك العصر ،تعلم في الكتّاب،ثم بعث به إلى الازهر ،أو الى معهد ديني،انظر(أحمد أمين،زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص،ص 280،281)

[3] مصطفى كامل:ولد في 04اوت 1874 من أسرة عسكرية ،كان والده علي أفندي محمد ضابطا ومهندسا فس سلاح المدفعية،ثم عين في عهد سعيد باشا ضمن أركان حرب معينة، انظر(عبد العظيم رمضان،تاريخ المصريين مصطفى كامل في محكمة التاريخ، مكتبة الاسكندرية ،1987، ص12)

[4] إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص، ص31-32

اتخذ من بعض الأحداث سبباً في إلهاب الشعور الوطني وتأجيجه، وأهم هذه الأحداث الإتفاق الودي بين فرنسا و بريطانيا سنة 1964 م كما إستفاد من حادثة " دنشواي" سنة 1906م.[1]

تردد مصطفى كامل على شيوخة لطلب المساعدة من الدولة العثمانية للتخلص من الإحتلال لأنها صاحبة السيادة الإسمية على البلاد غير أن الدولة العثمانية كانت أضعف من أن تقاوم الإنكليز، وفي عام 1907 م أسس مصطفى كامل الحزب الوطني وكانت أهم مبادئه إستقلال مصر الداخلي وفق معاهدة 1840 م، وجلاء الإنكليز عن البلاد و إيجاد دستور للبلاد و احترام المعاهدة الدولية و الانفاقات المالية و غيرها، ولكن مصطفى كامل لم يحقق ما كان يصبوا إليه، فقد توفي سنة 1908 م وخلفه في زعامة الحزب الوطني محمد فريد[2].

محمد فريد : حصل محمد فريد على رئاسة الحزب بعد وفاة مصطفى كامل ووجد فيه المصريين خير خلف لخير سلف، فلم تضعف الحركة الوطنية في عهده، وسارت في طيف القوة بفضل ما بذله من تضحيات وما قدمه لبلاده من خدمات، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، فاستنكر محمد فريد الحماية وطالب باستقلال البلاد وسار محمد فريد على مبادئ مصطفى كامل و تزعم الحزب الجلاء كما كان يسعى في ذلك الوقت و طالب بالجلاء والحكم النياني الصحيح و اعتمد في تحقيق مطالبه على كفاح المصريين و حدهم، ووفق محمد فريد صد السلطات الإنجليزية و الحكومة المصرية المتعاونة معهم موقفا معارضاً [3].

---

[1] نفسه ، ص 33

[2] المرجع السابق ، ص 34

[3] محمد محمود السروجي ، دراسات في تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر ، "د.ن" ، 1998 ، ص 147 – 148 .

تزعم محمد فريد حركة المعارضة لمد إمتياز شركة قناة السويس، وعبأ الرأي العام المصري لمعارضته، فسخر الصحافة و الخطابة و الاجتماعيات لتهيئة أذهان المصريين لمعارضة هذا المشروع الخطير الذي قصد من ورائه تمكين النفوذ الأجنبي من السيطرة على مرفق حيوي هام مدة 40 عاماً في مقابل مبلغ زهيد من المال، وطالب محمد فريد بعرض المشروع على الجمعية العمومية فاضطرت الوزارة إلى عرضه عليها فرفضته بأغلبية ساحقة لما فيه من إجحاف في حقوق مصر[1] .

المبحث الثالث : السياسة الإستعمارية في كل من تونس و مصر

أولا :السياسة الفرنسية في تونس

تعتبر تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الاستعمار الفرنسي وقد اسهدف "جولفيرى" مبتدع هذا النظام لأمرين : الأول : وهو إسكان المعرضة الدولية بحجة أن فرنسا لم تقض على كيان الدولة المحمية بالضم و الثاني : وهو اقناع المعارضة الداخلية بأن الحكومة لن تتورط في أعباء مالية جديدة لاف من مميزات الحماية أنها تعمل الدولة المحمية نفقات الاحتلال و جميع ما يترتب على الاصلاحات الادارية و الاقتصادية لإدخالها بواسطة الدولة الحامية ، ومن الواضح أن هذا النظام يتماشى مع أهداف "جول فيريج " العامة من الاستعمار ، إذ يقوم الاستقلال الاقتصادي على المجد القومي و بيد ان فرنسا ارتاحت لهذا النظام فاتبعته في عدة مستعمرات ، وتدل معاهدة الحماية على ان فكرة الحماية عند نشأتها كانت تقوم فعلا على مبدأ ان الدولة الحامية تشرف فقط اشراقا على الادارة الوطنية و

[1] محمد محمود السروجي،المرجع السابق ، ص 148 ، 149

توجهها دون ان تحل محلها بل ان تلك المعاهدة نصت على ان الاحتلال العسكري يكون مؤقتا[1] .

اعتقدت حينئذ السلطات الفرنسية بأن ملف القضية التونسية ، قد طوي ، الامر الذي جعلها تشرع منذ 10 جوان 1881 م في التخفيض من قواتها العسكرية ، وفي حل جيش الاحتلال في 26 من نفس الشهر ، و الاقتصار على فرق صغيرة تابعة للجيش الفرنسي . مهمتها مراقبة الاوضاع و تقصي شؤون التونسيين الثائرين على القوات الفرنسية [2].

وبقى الباي ، في ظل الحماية صاحب السيادة في تونس يمارسها بواسطة وزرائه و مجلس الشورى ، و تمنع المقيم الفرنسي بموجب المعاهدة بحق تقديم النصائح للباي و للعالم الخارجي وتمنع المقيم أيضا بموجب المرسوم الجمهوري الفرنسي الصادر في 20 ذي الحجة 1301 هـ 10 تشرين الاول 1884 م سلطات تشريعية و تنفيذية اسعة ، وعدت أوامر الباي غير نافذة إذا لم يصادق عليها المقيم[3] .

وقد أسس مجلس الشورى سنة 1308 هـ 1890 م ليحل محل المجلس الكبير الذي حل عام 1282هـ / 1864م وينظر في شؤون الميزانية و عين المقيم العام أعضاء هذا المجلس من

[1] صلاح العقاد : المغرب العربي ، دراسات في تاريخه الحديث و أوضاعه المعاصرة ، الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، "د.س" ، ص 190 .

[2] علي محجوب ، ما يجب أن تعرف عن إتنصاب الحماية الفرنسية بتونس ، عمر بن ضو و آخرون ، دار سرار ، تونس ، 1986 ، ص 44 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص 153

بين أصحاب الشركات التجارية و المزارعين و أعضاء المجلس البلدية وعن المقيم العام في 1323 هـ 1908 م عددا من التونسيين أعضاء في هذا المجلس بحيث أصبح عددهم ثمانية عشر عضوا و انقسم المجلس عام 1328 هـ /1910 م الى قسمين أحدهما في شيء والآخر تونسي يجتمع كل منهما و القي مجلس الشورى عام 1340هـ / 1922 م وشكل مجلس جديد يدعي المجلس الكبير و انقسم هذا المجلس بدوره الى قسمين: فرنسي تونسي يضم القسم الفرنسي 44 عضوا في حين ننتخب منهم الفرق التجارية و الزراعية 21 عضوا و ينتخب الباقون من قبل الجالية الفرنسية ، بينما يضم القسم التونسي 18 عضوا معينا و طرأت تغيرات عدة على المجلس الى أن تساوى الفريقان عام 1364هـ / 1945 م ، و توترت العلاقات بين الفرنسيين و التونسيين في المجلس يقدم الفرنسيون استقالتهم عام 1370 هـ / 1950 م احتجاجا على تساهل الحكومة الفرنسية نحو مطالب الوطنية التونسية فتوقفت أعمال المجلس عام 1951 م [1].

وقد سيطرت فرنسا أيضا على جميع النواحي الاخرى من اقتصادية و ثقافية و اجتماعية سيطرت على الاقتصاد التونسي من خلال مصادرة الثروة في البلاد فاستولت على املاك الدولة من الارض البور ثم استولت على الغابات و الاراضي القبائل و الاوقاف و سلمت هذه المساحات التاسعة للشركات الفرنسية و المهاجرين الفرنسيين صدت الى الثروة المعدنية فاستندت الى الشركات الفرنسية مهمة البحث عنها و الحصول عليها وركزت على

[1] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق ،ص 354، 355 .

النشاط الصناعي في بدهته الشركات ، ووصفت نظاما جمركيا جعل تونس بموجبه سوقا للبضائع الفرنسية وحدها كما جعل صادرات تونس لا تنتجه إلا فرنسا .[1]

واحتضنت فرنسا كل افراد الجالية الاروبية و منحتهم الجنسية الفرنسية ليكبر عدد رعاياها ، واتجهت الى هؤلاء بالرعاية على حساب شعب تونس فجعلت الوظائف الكبرى في ايديهم و اتجهت بالميزانية الى مرتحات الموظفين مهملة كل المنشآت العمرانية و الثقافية و الصحية حتى أنه قصص أكثر الميزانية التونسية للموظفين ، فقد بلغ عدد الموظفين في عام 1371 هـ/1951 م جوان 31696 موظفا منهم 22 ألف موظف من الفرنسيين و المتجنسيين بالجنسية الفرنسية ويتقاضى الموظفون 82 % من مجموع إعتمادات ميزانية ذلك العام ، كانت فرنسا تحث التونسيين على التحفس حتى يحصلوا على مرتبات عالية تساوي مرتبات الفرنسيين الا ان الصحافة و فتوى المفتي العام قضت على هذه النداءات[2] ومن الناحية العلمية و الثقافية فقد اتجهت فرنسا الى محاربة اللغة العربية و الفكر الاسلامي ، كما اتجهت لنشر اللغة الفرنسية و تشجيع التنصير ، و قطعت الاعانات عن المدارس الاسلامية ، فضعفت و انقضت اكثرها و لم يبق الا جماعة الزيتونة تصارع الاحداث و تناضل للبقاء

[1] إسماعيل احمد ياغي ، تاريخ العالم العربي المعاصر ، ج 1 ، مرجع سابق ص 356 – 357 .

[2] إسماعيل احمد ياغي ، المرجع السابق ،ص 357 .

و فرضت فرنسا الاحكام العرفية على التونسيين اكثرها من عشرين عاما صادرت خلالها حرية الفكر ، وحرية النشر و الاجتماع إلا ما وئيد أغراضها و يحقق أهدافها.[1]

وعموما يمكن القول ان السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس تميزت بما يلي

1. السيطرة السياسية المباشرة دون إلغاء منصب الباي
2. تعين مقيم بمرسوم صادر عن رئيس الجمهورية الفرنسية و هو حاكم عام للبلاد و سكريتر عام للحكومة التونسية ثم يليه رئيس الوزراء .
3. إقامة مجلس استشاري للرقابة المالية يمثل أصحاب المصالح من الفرنسيين مهمته النظر في الموازنة و الموافقة عليها .
4. وضع نظم إدارية تخدم مصلحة الفرنسيين وتسهل مهمة رجال الاحتلال
5. إحتكار الادارة العامة و المناصب الكبرى بتعيين رجال عسكريين فرنسيين مسؤولين عنها .
6. وضع رقابة على دخل البلاد بحجة تأمين ديون الأجانب على التونسيين هما سهل السيطرة على ارض تونس و لا سيما الخصية منها .

[1] نفسه ،ص358 .

إدخال التعليم الفرنسي في مدارس خاصة لأبناء طبقة النخبة و خاصة المعجبين بالثقافة الفرنسية كما منعت الثقافة العربية و تعليم اللغة العربية و الثقافة الاسلامية و حصرت في جامع الزيتونة الذي بقي منارة للعلماء و طالبي العلم في منطقة المغرب العربي

ثانيا: السياسة البريطانية في مصر:

عندما أعلنت انجلترا الحماية على مصر ، أعلنت الاحكام العرفية وخلفت " الخدبوي عباس" وعينت مكانه "الامير حسين كامل " الذي قبل العرش ولقب بالسلطان حمين كاملنوذهل الشعب لاعلان انجلترا الاجتماعات وضيقت على الصحافة ورفعت أسعار الحاجيات ارتفاعا كبيرا ، وعزلت مصر عن العرب ونكلت الاحرار وزجتهم في السجون والمعتقلات وجندت الالاف من الشبان لخدمة الجيش الانجليزي المحارب واخبرتهم على حفر الابار ومد انابيب المياه وتعبيد الطرف الحربية الى غير ذلك من الاعمال التي احس بوطاتها الشعب المصري

سيطر الاحتلال البريطاني في مصر على كل شئ، فمن الناحية العسكرية حلو الجيش الوطني وشكلو جيشا قوامه 09 الاف جندي تحت قيادة انجلزية وانحصرت قيامه في حفظ الامن والقضاء على الحركة الوطنية وعدم جماح الثوار والانتفاضات الوطنية[1]

[1] رافت الشيخ ،مرجع سابق ، ص35

ومن الناحية السياسية قضوا ،على الحياة الدستورية فحلوا مجلس النواب واستغنوا عنه ببعض الهيئات كمجالس المديريات ومجلس الشورى والقوانين والجمعية العمومية على ان تكون قراراتها استشارية فقط وغير ملزمة ، واما الوزراء فقد اصبحو طوع ادارة الخديوي الذي اتبع أسلوب الحكم المطلق وعليهم أن ينفذوا الاوامر التي تصدر اليهم منه بناء ا على تعليمات من المعتمد البريطاني في مصر اللورد " كرومر" ومن الناحية الادارية ابقى التقسيمات الادارية السابقة غير انهم نزعوا من حكام المديريات حقهم في الاشراف على قوات الشرطة والحقوها بزارة الداخلية ليشرف عليها مفتش الوزارة العام (انجليزي) اذ جعلت بريطانيا الى جانب كل وزير مستشارا انجليزيا يملي عليها أوامر المعتمد البريطاني الهامة والعالية بيد الموظفين الانجليز[1]

أما من الناحية المالية الاقتصادية فقد ألغى الانجليز نظام المراقبة الثنائية وأصبحت الامور المالية تحت اشراف المراقب الانجليزي الذي أصبح مستشارا ماليا للحكومة المصرية ،الامر الذي دعا الى احتجاج فرنسا عاى هذا التدبير ،ومع ذلك أصبحت الامور المالية تحت النفوذ البريطاني مباشرة ن وقد عمل الانجليز على ربط اقتصاد مصر بعجلة الاقتصاد البريطاني عن طريق ترقية انتاج المحاصيل الزراعية وخاصة القطن لتزويد المصانع الانجلزية به، واهمال الصناعات الوطنية كي تصبح مصر سوقا لتصريف المنتجات الانجلزية ،ولم يهتموا بالتجارة بمقدار ما يكفي سهولة تصدير الموارد الاولية الى انجلترا

[1] اسماعيل احمد ياغي ،مرجع سابق،ج02،ص30

الاجنبية باقامة الشركات والمصانع والمصارف الاجنبية في البلاد استغلال ثروات مصر لصالحها[1]

وكانت سياسة بريطانيا من الناحية الإجتماعية تقتضي بتشجيع الإنحلال الخلفي في مصر، اهمال التدابير التي تحول دون إنتشار الربا و البذخ و شرب الخمر فكثرت المفاسد الاجتماعية و اضافة الى ما تقدم فقد رسمت بريطانيا سياسة التعليم ترمي الى الحد من توسعاته و تحويله الى جهة تخدم مصلحتهم بحسب مناهج مرسومة لتقوية اللغة الانجليزية و إهمال التاريخ وتعديله وفق مصلحتهم و اهمال اللغة العربية والدين الاسلامي كما اكثروا من المدرسين الإنجليز2 .

و إضافة إلى ما تقدم حول السياسة الإنجليزي مصر فقد عهدت هذه الأخيرة الى قتلى الروح الوطنية لدي الشعب المصري ، إذ حجزت على حرية الفكر و لاحقت الوطنيين الشرفاء بالاعتقال والسجن والتني و التشكيل و حرمتهم من وظائف الدولة وفاضت رقابة شديدة على النوادي و الصحف و الاجتماعيات بحيث لم تجرؤ على إنتقاد تصرفات سلطات الاحتلال و مع كل ذلك فقد فشلت جميع محاولاتها في قبل الروح الوطنية لدي الشعب المصري[3] .

[1] إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر ، مرجع سابق، ص 30 .
[2] نفسه ، ص 30 .
[3] المرجع السابق، ص 31 .

الفصل الثالث

حركات التحرر في تونس ومصر استقلال البلدين

المبحث الاول:حركات التحرر في تونس ومصر

المبحث الثاني :استقلال البلدين

المبحث الأول:الحركة الوطنية في تونس ومصر

أولا :في تونس

تمهيد: أثارت السياسة الإستعمارية في تونس موجة إستياء واسعة، فعم هذا الأخير كافة فئات الشعب التونسي، ففي نهاية القرن التاسع عشر حدثت في البلاد إضرابات واسعة. وأدى ذلك إلى ظهور حركات تحرر شملت كل البلاد.

وفي هذه الظروف المتميزة ظاهريا بالهدوء ، بدات النخبة التونسية المثقفة تمارس نضال سياسي، رافضة الاستعمار ولكن بوسائل سليمة، والحق ان تونس باعتبارها البلاد الاولى على المستوى المغاربي، التي تاسست بها اول مدينة اسلامية وهي القيروان 675م الاكثر تاثرا بالمشرق، فالدين كان من احد العوامل الاساسية في رفض الاستعمار الفرنسي سواء اثناء مرحلة المقاومة الشعبية المسلحة ، او خلال مرحلة المقاومة السياسية التي مثلها العلماء التونسيون المتخرجين من المدارس الفرنسية[1]

في عام1905م تم تأسيس أولى حلقات التنظيمات التونسية،فقد قام عدد من الطلبة التونسيون الذين أنهوا دراستهم خارج البلاد وعادوا إليها بتأسيس جامعة الحاضرة التي كانت تطالب بتقوية علاقات وروابط تونس مع الجامعة الإسلامية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت تطالب بتطبيق الدستور التونسي، وكان أبرز زعماء الحضارة علي أبو شوشة،صاحب

[1] : Charles andre julien :LAfrique du nord en ,marche natianlisme musulmans et souverainete francaise ed, julliard France ,1972 ,p63.

جريدة الحضارة التي تأسست سنة1988م، وعبد العزيز الثعالبي الذي سيلعب دورا رئيسيا في تاريخ تونس السياسي بعد الحرب العالمية الأولى [1]

وكانت هذه الحركة شبيهة إلى حد كبير الحركة القومية في مصر أيام مصطفى كامل،ومحمد فريد ،كما أن الحركة كانت تتغذى بالروح التي ترد عليها من مصر،كصدى الدعاية التي قام بها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وتقتدي بالحركة الوطنية التي انبثقت من روح الدعاية مصطفى كامل[2]

ومن أهم أهدافها:نشر الثقافة العصرية بين الوافدين عليها وتقديم محاضرات ودروس تشمل مختلف ميادين المعرفة الثقافية[3]

وفي سنة 1923م تعرض الباي لضغط شديد من جانب الفرنسيين، بسبب مواقفه الوطنية،إذ حاصر الجيش والدبابات قصره، ثم اضطر الفرنسيين لفك الحصار عنه تحت ضغط المظاهرات الشعبية،وبعد قليل توفي الباي محمد الناصر، وترد أنه قتل مسموما، وبعد موته فقدت الحركة الوطنية أكبر سندا لها،فأشاعت السلطات الفرنسية جوا من الإرهاب والرعب وعطلت الصحف وأغلقت النوادي والجمعيات وأقدمت على تشريد قادة الحركة الوطنية ،وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي نفي للخارج وأخذ يتنقل بين مصر وبغداد وفلسطين وحاول أن يربط نضال الحركة في تونس بالحركة في مصر والمشرق[4]

---

[1] بلقاسم بن محمد بن جراد،مرجع سابق، ،ص235،236.

[2] احمد اسماعيل راشد،مرجع سابق،ص99.

[3] خليفة الشاطر واخرون ، توني عبر التاريخالحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص65

[4] نفسه.

وفي سنة 1933م عقد الحزب الدستوري مؤتمرا عاما اتخذت فيه عدة قرارات، وكان أهمها المطالبة بالسيادة الداخلية للبلاد، وتطبيق النظام النيابي وكان رد فعل السلطات الفرنسية الصمت، وبعد اسابيع قليلة، أصدرت قرارا بحل الحزب،ثم مضت في إشاعة التفرقة بين أعضائه،وأفراد الشعب الآخرين[1]

1) **حزب تونس الفتاة 1908** : تأسيس حزب تونس الفتاة في عام 1908 م، وكان هذا الحزب مشابهاً بشكل كبير إلى الحزب الوطني المصري الذي كان قد أسسه مصطفى كامل ، فقد كان الحزب ينادي بمقاومة الإستعمار الفرنسي و الإستقلال الوطني تحت ظل الدولة العثمانية، ويرجع تأسيس الحزب إلى سياسة الحماية نفسها، وذلك حين قررت السلطات الفرنسية تجنيس اليهود في تونس و نشط الزعماء التونسيون في شن حملة على مبدأ التجنس ودعوا إلى مقاطعة المتاجر اليهودية ، فساعد ذلك على ظهور التجارة الوطنية، وكان في السابق يدعى بحزب التقدم وغير اسمه إلى حزب تونس القناة،كما لعب دوراً هاماً عندما احتلت إيطاليا ليبيا،حيث كانت تونس مسرا للمتطوعين إلى ليبيا الذين قدموا من أوروبا لمساعدة الشعب الليبي [2].

وفي عام 1911 م قام حزب تونس القناة بحملة سياسية واسعة ضد الاعتداء الإيطالي على ليبيا، و في فبراير 1912 طالب العمال التونسيون شركة التزام بمساواة أجورهم بأجور العمال الأوروبيون ، فلما رفضت الشركة قاطع التونسيون التزام و عندما تأزم الوضع أعلنت السلطات الفرنسية الحصار على تونس و أغلقت الصحف الوطنية نشاط الحزب و ألقت القبض على زعمائه فأبعد إلى باريس، وفي عام 1913 عاد

[1] حلمي اسماعيل محروس، مرجع سابق، ص387 .

[2] أحمد إسماعيل ياغي ، مرجع سابق ، ج 02 ، ص 99

التحالف إلى تونس و أستأنف عمله فيها، أما علي باشا فنقل عمله إلى المهجر حيث يقيم في المنفى .[1]

2:الحزب الحر الدستوري1920م:تأسس سنة 1920م بزعامة عبد العزيز الثعالبي بعد إطلاق سراحه، ودعا إلى إنشاء حركة وطنية سياسية تنظم حركة النضال الوطني وانتخبوا بالإجماع الشيخ عبد لعزيز الثعالبي ليكون رئيسا للحزب والمحامي حمد الصافي أمينا عاما له،ولم يلبث أن إنتشرت فروعه في البلاد ،أخذ زعماء الحزب يطالبون بإقامة نظام دستوري في تونس وإنشاء مجلس تشريعي تأليف حكومة وطنية خالصة،وكان الباي محمد الناصر متعاطف مع الحركة وزعمائها ورفض الباي الموافقة على الإصلاحات المزيفة التي أعدها الفرنسيون[2]

وازاء استمرار السياسة الفرنسية في عدم الاعتراف بالحقوق المشروعة لتونس بدا التناقض يظهر بشكل اكبر في العمل السياسي بين خطين متعارضين خط اول (بورقيبة) امن و ايقن بأن الحل عند فرنسا وأوروبا عامة وهذا الخط كانت بداية نشأته وطنية راديكالية، لكن ثقافته ومسيرته واتصالاته الأوروبية قادته إلى أن يتجه اتجاها إصلاحيا، يقترب من المساومة على حساب المصالح الوطنية، وخط ثاني كان يؤمن بالعمل العسكري ويبحث في نفس الوقت عن نظرية سياسية تقوده، وقد تجاوب هذا الخط مع التيار الذي كانت تمثله لجنة تحرير المغرب العربي والجيش التونسي[3]

---

[1] احمد اسماعيل ياغي:مرجع سابق ، ص 106

[2] حلمي محروس اسماعيل ،مرجع سابق،ص،386.

[3] محمدالميلي، المغرب العربي بين حسابات الدولة ومطامع الشعوب، دار الكلمة ، بيروت، 1983م، ص،22 ، 32 .

3:الحزب الدستوري الجديد1934:في عام 1934 إنقسم الحزب الدستوري نتيجة لضعف الحركة الوطنية بعد نفي الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، والصراع بين الجيل القديم والجديد، وانشق عن الحزب مجموعة من الأعضاء المثقفين كان على رأسهم الدكتور محمد الماطري والحبيب بورقيبة،ونتيجة لاشتداد الخلافات بين جناحي الحزب دعا الجناح المعارض إلى عقد مؤتمر طارئ في قصر هلال،في مارس 1934، وقاطع هذا المؤتمر أصحاب الجناح القديم في الحزب، والذي يتزعمه الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وفي هذا المؤتمر أعيد تنظيم الحزب جذريا، وانتخب قيادة جديدة اتخذت خطا واضحا في توسيع الحركة التحررية،وأعيدت تسمية الحزب إلى إسم الحزب الدستوري الجديد، ومن أبرز زعمائه،الدكتور محمد الماطري الذي تولى رئاسة الحزب،والمحامي الحبيب بورقيبة الذي تولى أمانة الحزب العامة ،[1]ومن أهم مطالبه:تمثيل التونسيين في مجلس منتخب وحكومة مسئولة وكذلك إصلاح النظام الإداري والقضائي لفائدة الأهالي وإصلاحات إقتصادية وإجتماعية وكان الاستقلال هو الغاية ولكنه لم يكن يطالب به مطالبة عاجلة، بل لم يكن مما يؤمل خاصة بسبب المطامع الايطالية في تونس[2]

وبعد الإفراج عن عبد العزيز الثعالبي في 1936م وعودته إلى تونس، حاول توحيد شطري الحزب الدستوري القديم والجديد، ولكنه لم يجد تجاوبا من قادة الحزب الجديد،وأخذ الحزب الجديد يثير حماسة الشعب بتنظيم الإجتماعات السياسية والمظاهرات ونشر المقالات الحماسية[3]

---

[1] حلمي محروس اسماعيل ،المرجع السابق، ص388

[2] محمد الهادي الشريف:مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال، ط02، تع، محمد الشاوش–محمدعجينة، دارسراس،1993، ص123

[3] اسماعيل احمد راشد : مرجع سابق،ص100.

وكانت خطة هذا الحزب العمل على تنفيذ المطالب الوطنية على مراحل،والتدرج في تحقيق الإستقلال، وكان زعيم الحزب الجديد الحبيب بورقيبة، يتبنى مبدأ سياسة المراحل،وبعد عودته من المنفى سافر إلى فرنسا،واتصل بالدوائر الفرنسية وتقدم بطلب إدخال بعض الإصلاحات في تونس،وذلك بإقامة برلمان وحكومة وطنية تكون مسئولة أمامه[1]

حاول قادة الحزب الدستوري الجديد إستمالة الفرنسيين وأبدوا إستعدادهم للتعاون مع فرنسا،على أساس منح البلاد دستورا،والتدرج نحو الإستقلال، ولكن السلطات الفرنسية تنكرت بعد قليل لوعودها بتاثير المستوطنين الذين عارضوا بشدة هذا الإتجاه وكانت تؤيدهم في ذلك الدوائر الإستعمارية في باريس،وبعد ذلك مضت السلطات الفرنسية في إتباع سياسة الضغط والإرهاب، ووقعت معارك دامية بين المواطنين والقوات الفرنسية،وذلك خلال شهري مارس وابريل سنة 1938م حيث سقط مئات القتلى والجرحى واعتقل الكثير من المتظاهرين، كما اعتقل قادة الحزب وزج بهم في السجن العسكري في تونس ثم نقلوا إلى "حصن سان نيكولا"بمرسيليا في فرنسا،ومنذ ذلك الوقت أصبح الحزب الدستوري الجديد يتصدر نضال الحركة الوطنية ضد الإستعمار واكتسب شعبية كبيرة من جموع الشعب [2]

إعتقلت السلطات الفرنسية جميع أعضاء الحزب الدستوري الجديد في عام 1938م وأعلنت الأحكام العرفية، وحل الحزب في العام نفسه،وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية كانت الأحزاب في تونس قد حلت وتعمل في السر،وزعمائها في المعتقلات، ولكن بعد أن استسلمت فرنسا فرنسا في منتصف 1940م نشطت الأحزاب مرة أخرى، فقدم الحزب

[1] اسماعيل احمد راشد،مرجع سابق،ص104

[2] اسماعيل احمد ياغي،مرجع سابق،ج02،ص110

الدستوري الجديد طلبا الى الباي ، طالب فيه بإنهاء المعاهدة وإخلاء سبيل المعتقلين فبادرت سلطات "فيشي" إلى إعتقال الحبيب ثامر ورجال المكتب السياسي للحزب[1]

وما نستنتجه من هذا أن هذه الأحزاب نجحت في تجاوب الشعب التونسي معها، وشهدت الكثير من ممارسات القمع الشديد من طرف القوات العسكرية وذلك ما أدى بالكثير من الأحزاب للحل والزج بقادتها في السجون.

ثانيا:في مصر

1:حزب الوفد 1918 : بدأ كحركة سياسة تضم مختلف طبقات المجتمع بهدف العمل الوطني لتحقيق طموحات الأمة، و كان تأليف الوفد المصري في نوفمبر 1918م للمطالبة بالإستقلال التام بداية لتكوين حزب الوفد، وقد اكتمل التشكيل للحزب في عام 1919 م و أصبح يضم فئات مختلفة و عددا من أعضاء الجمعية التشريعية، و قد برزت شخصية سعد زغلول في الجمعية بالذات أثناء نزاعه مع عدلي يكن وكيل الجمعية التشريعية في أن يضم إلى صفه بعض أعضاء حزب الأمة و قد تبلورت فكرة تكوين حزب يتحدث باسم الأمة، و يتبنى الدفاع عن مطالبها بعد المقابلة التي تمت بين سعد زغلول وعلي الشعراوي وعبد العزيز فهمي و في 13 نوفمبر 1918 للمطالبة بالسماح لهم بالسفر لهم بالسفر لعرض قضية البلاد على مؤتمر الصلح و طلبوا بعد مقابلة المندوب السامي البريطاني توكيلا من الشعب للتحدث باسمه.[2]

[1] حلمي محروس اسماعيل ،مرجع سابق،ج01،ص189

[2] شوقي الجمل ، تاريخ مصر المعاصر ، "د.ن" ، "د.س" ، ص 29 .

- **مؤتمر الصلح 1918م** : في 13 ديسمبر 1918 قابل سعد زغلول و علي الشعراوي و عبد العزيز فهمي المندوب السياسي البريطاني، وعرضوا عليه و جهة النظر المصرية التي تتلخص في :

_ تعترف إنجلترا لإستقلال مصر

_إستعداد مصر المستقلة لأن ترتبط مع إنجلترا بمعاهدة صداقة نقوم على أساس تعاون الدولتين للحفاظ على مصالحها المشتركة ، وقد شكك المندوب السياسي البريطاني في حق الوفد في التحدث باسم المصريين لذا سعى هذا الاخير للحصول على توكيلات من مختلف فئات الشعب، ولمس الوفد من هذه المقابلة المندوب السامي البريطاني عدم إستعدا إنجلترا للإعتراف باستقلال مصر، وكانت تصبوا لتشكيل وزارة مصرية تقبل الحماية [1].

تعددت إجتماعيا الوفد المصري لبحث ما يمكن بعثه في ذلك الوقت من إجراءات و طالب رئيس الوزراء حسين راشد من المندوب السامي البريطاني أن يسمح له بالسفر هو وعدلي يكن باشا إلى لندن لبحث المسألة المصرية مع الحكومة البريطانية و أن يسمح للوفد المصري بالسفر إلى باريس لعرض القضية ، ولكنه لم يسمح للوفد المصري بالسفر وهذا ما زاد من توتر الأمور بين المصريين و ممثليهم ، وبين ممثل إنجلترا في مصر و ترتب عن ذلك عدة أحداث.[2]

أرسل الوفد المصري في 06 ديسمبر 1918 خطابات إلى ممثلي الدول الأجنبية بمصر بشرح فيها الهدف من تشكيل الوفد و موقف السلطات البريطانية منه، وأرسل

[1] شوقي الجمل ، تاريخ مصر المعاصر ، "د.ن" ، "د.س" ، ص 13 .

[2] محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة العربية،بيروت، 1999، ص236

إلى الرئيس و لسن يطالبه بإزالة العقبات التي تعيق سفره لحضور مؤتمر الصلح وعرض القضية أمام المجتمعين بالمؤتمر[1].

أعلن سعد في 07 فبراير 1919 م أن الحماية البريطانية لم تعد مقبولة وقد انتهت بانتهاء الحرب، وقدم رئيس الوزراء المصري حسين رشدي إستقالته و أعلن في أول مارس 1919 قبولها ، و في 08 مارس 1919 م ألقي القبض على سعدزعلول ، محمد محمود ومحمد الباسل ، و إسماعيل صدقي ، و تم نفيهم الى جزيرة مالطا بحجة إثارة الرأي المصري وإثارة الاضطرابات في البلاد ، فكان ذلك إنذارا بإندلاع ثورة 1919 م[2] .

وقائع **الثورة:** بعد نفي سعد زغلول وزملائه سببا كافيا لاندلاع الثورة التي انفجرت في مارس1919 حيث أزهلت بعض قادة الثورة الذين خشوا أن تنقلب الثورة السياسية الى ثورة اجتماعية، والبعض الآخر خاف من ان تخرج الثورة السياسية عن النطاق الضيق الذي رسم لها، بل أنهم كانوا لا يرضون بالثورة أسلوبا في معالجة المشكلة السياسية وكانو يؤثرون الطرف السلمية المشروعة على ما عداها[3] .

وبمجرد انتشار أخبار القبض على زغلول ورفاقه حتى اضرب طلاب المدارس و انتشرت الثورة بين الموظفين والمحامين والعمال والتجار الفلاحين واشترك فيها النساء وظهر التضامن بين جميع الفئات،واشتد لهيب الثورة وقطعت أسلاك الكهرباء والتليفون،واضطرت السلطات البريطانية لفرض حظر التجوال ليلا،واستخدمت الطائرات الحربية لتعقب المتظاهرين وتفريقهم في مصر ونجت، وسحبت مندوبها السامي وعينت مكانه اللورد

[1] شوفي الجمل، مرجع سابق، ص 14

[2] حلمي محروس اسماعيل، تاريخ افريقيا الحديث زالمعاصر، ج01، مرجع سابق، ص372

[3] شوقي الجمل،مرجع سابق،ص18.

اللنبي، ذهب اللنبي إلى القاهرة، وفي أواخر مارس بدأ تنفيذ سياسته المتمثلة في القمع للمظاهرات وتقرب من كبار رجال الدولة لينصحوا الشعب بالهدوء والسكينة[1]

في هذه الأثناء اضطرت الحكومة البريطانية إلى إطلاق سراح سعد ورفاقه وسمحت لهم بالذهاب إلى باريس واتخذت بريطانيا الترتيبات لإغلاق أبواب مؤتمر الصلح دونهم، وأقنعت حسين رشدي باشا بالعودة لتولي الوزارة لكن كل هذه الإجراءات لم تضع حدا للاضطرابات فقررت انجلترا إرسال لجنة برئاسة ملنر للتحقيق واقتراح النظام السياسي الملائم لمصر في ظل الحماية البريطانية[2]

وصلت اللجنة إلى مصر في ديسمبر1919وقوبلت بالمقاطعة من طرف المصريين وتعددت المظاهرات في القاهرة والإسكندرية وغيرها من المدن المصرية تندد باللجنة وتدعوا لمقاطعتها، و قابلت السلطات البريطانية هذا الوضع بزيادة العنف والشدة ضد المتظاهرين والمحرمتين على المظاهرات وجاءت اللجنة إلى مصر وعادت إلى لندن دون تحقيق أهدافها بسبب المقاطعة المصرية لها،وكان سعد رفاقه قد مضوا مدة في باريس دون تحقيق أهدافهم سوى ما نشرته الصحف الفرنسية وغيرها عن هذه القضية[3]

اجتمع سعد مع ملنر في لندن للوصول إلى مشروع اتفاق جاء فيه مايلـــي:

- تقر انجلترا في حق مصر في غضون عامين خدمات الموظفين الانجليز بمصر

- تتكفل انجلترا بحماية الأجانب الذين كانوا يتمتعون بالامتيازات الأجنبية

[1] محمد محمود السروجي،مرجع سابق،ص167.

[2] شوقي الجمل،مرجع سابق،ص،18.

[3] شوقي الجمل-عبد الله عبد الرازق، تاريخ مصر المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، 1997، ص37

– يكون لممثل انجلترا في مصر مركز خاص

وكان رأي سعد ورفاقه أن المشروع يحمل بهد المزايا ولكن لا يحقق كل المطالب فقرروا عرضه على الأمة لتبحثه وحين عرض المشروع قرر الحزب الوطني رفضه رفضا قاطعا وقرر البعض الآخر ألا يرفض المشروع ،لكن يطلب عل انجلترا تعديله بإزالة القيود التي تمس الاستقلال الكامل لمصر، ولكن ملنر رفض إجراء أي تغيير على مشروع وترتيب عنه توقف المقاومات وعودة الوفد المصري، إلى باريس[1]

وقد أدت عودة الوفد إلى باريس ورفض مقترحات ملنر إلى انقسام في صفوف الوفد فانسحب إسماعيل صدقي ومحمود شاكر وبعد ذلك وقعت مفاوضات جديدة مع وفد جديد عينه السلطان محمد فؤاد ولكن رغم هذه المفاوضات إلا إن انجلترا لم تصل الى ما كانت تصبوا إليه في هذه المفاوضات، وحدثت اختلافات كثيرة بين سعد والوفد الجديد وأنتهت هذه المفاوضات بالفشل[2]

ورغم ذلك ظلت روح الثورة تؤثر في تطور الاحداث في مصر وكان لها نتائج قريبة وأخرى بعيدة ومن أهم هذه النتائج

. انهت الحماية وأقرت احياة النيابية عام1922 م

. نجحت الثورة في وضع حد لاطماع انجلترا التي كانت ترمي لبسط سلطاتها على مصر،ولكن هي تحل محل الدولة الاجنبية ي التمتع بالامتيازات التي كان يتمتع بها الاجانب

1محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق، ص237

[2] شوقي الجمل،مرجع سابق،ص19

. أقرت الثورة علميا حق الشعب المصري في اختيار نظامه الدستوري

. كان للثورة أثرها في النهضة النسائية ،ولا شك أن نجاح هذه الثورة مهما كان محدودا فقد أعطى للمصريين الثقة في أنفسهم1.

1:حزب الأحرار الدستوريين1922:تأسس هذا الحزب في أكتوبر سنه 1922م، وأسسه أعضاءا إنفصلوا عن حزب الوفد، وعدد من المخالفين لسعد، وحدد برنامجه في:

-العمل الإستكمال استقلال مصر.

-إنهاء الإحتلال.

-التمسك بالوحدة بين مصر والسودان وغيرها من المطالب.

وقد تولى عدلي يكن باشا رئاسة الحزب وخلفه عبد العزيز فهمي عام 1924م وكانت جريدة السياسة التي يترأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل هي التي تعبر عن رأي الحزب ونشاطه[2]

2:تصريح28فبراير1922م:رأت الحكومة البريطانية أن سعد زغلول ورفاقه يمثلون العقبة الحقيقية في الوصول إلى إتفاق بين الحكومتين المرية والبريطانية، لذا أصرت على نفي سعد إلى عدن ،ثم تقل منها إلى سيشل ونقل بعد ذلك إلى جبل طارق ومع إصرار إنجلترا على ذلك قدم عدلي يكن إستقالة وزارته بعد عودته من منفاه، وفي 28فبراير1922م صدر تصريح بريطاني في كل من لندن والقاهرة وجاء فيه مايلي :

[1] محمد محمود السروجي ،مرجع سابق ،ص25

[2] شوقي الجمل، مرجع سابق،ص31

-إعترفت إنجلترا أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وانتهت بذلك الحماية

-تقرر أنه حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات نافذ المفعول على جميع ساكني مصر

-إلى أن يحين الوقت الذي يتسنى فيه إبرام إتفاقيات بين حكومة جلالة لملك وبين الحكومة المصرية.[1]

وحتى تبرم هذه الإتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ماهي عليه وما نلاحظه على هذا التصريح :

-أنه لم يحل مشكلة العلاقة بين مصر وبريطانيا

-حصلت مصر على إعتراف باستقلالها

-من جهة انجلترا فرضت وجودها في مصر بالقوة ولم تنجح في أتفضي الشرعية على وجودها بالوصول لإتفاقيات مع الحكومة أو الثورة الشعبية[2]

3:دستور 1923م:ألفت وزارة عبد الخالق ثروت لجنة من ثلاثين عضوا لوضع الدستور، وضمت اللجنة عددا من أعضاء اللجنة التشريعية وحاول واضع الدستور الإسترشاد بالدساتير الأوربية،خاصة الدستور البلجيكي والدستور الأول للثورة الفرنسية،االذي وضعفي 1791م ,أبرز المندوب السامي البريطاني تدخله هذا بأن السودان من المسائل المتحفظ بها في تصريح 28فبراير 1922م، وطال الأخذ والرد وانتهى الأمر بتقديم بريطانيا إنذارا، أنه إذا لم تقبل وجهة النظر البريطانية في غضون 24سا فإن بريطانيا سترجع كامل

[1] شوقي الجمل :مرجع سابق، ص23 .

[2] نفسه،ص24

حريتها في العمل بإيزاء الحالة السياسية في السودان وفي مصر، وانتهت الأزمة بالإتفاق على أن يصدر الدستور محتويا على نصين:

-يبين اللقب الذي يكون لملك مصر بعد أن يقرر المندوبين المفوضين نظام الحكم النهائي

-تجرى أحكام الدستور على المملكة المصرية بدون أن يخل ذلك مطلقا بما يضر بحقوق مصر في السودان[1]

وصدر الدستور في 19أفريل 1923م محتويا النصين، ورغم أن واضعوا دستور 1923م وضعوا أمام أبصارهم أن يحقق المساواة الكاملة للمصريين أمام القانون، وبعد وضع الدستور وإعلانه ألغيت الأحكام العرفية وأفرج عن المعتقلين السياسيين وجرت الإنتخابات البرلمانية[2]

6:معاهدة 1936م بدأ الإنكليز ينتبهون إلى سيطرت القرص وفرض سلطانه المباشر على الحكومة، فعملوا على إعادة التوازن بين بين الطرفين حتى يظلا بحاجة اليهم وشكلت بعد ذلك وزارة "محمد توفيق نسيم" الحيادية في أواخر عام 1934م واضطرت الحكومة إلى الإستقلال إزاء الصعوبات

ثم شكلت وزارة حيادية أخرى برئاسة "علي ماهر" وقامت اضطرابات قوية في البلاد كان أبطالها طلاب المدارس والجامعات الذين ضغطوا على الأحزاب لتشكيل جبهة وطنية وتم الاتفاق على هذه الجبهة التي ضمت كل الأحزاب،وشكل وفد لمفاوضة الانكليز برئاسة "مصطفى النحاس باشا" مثلت فيه جميع الأحزاب ماعدا الحزب الوطني الذي لم يكن

[1]شوقي الجمل،مرجع سابق،ص31

[2]نفسه،ص33

يعترف بالاحتلال البريطاني،وبعد ذلك جرت مفاوضات بين مصر انكلترا انتهت بتوقيع معاهدة 1936م وأهم بنودها: [1]

-استقلال مصر استقلالا تاما وإنهاء الإحتلال البريطاني العسكري على أن تحتفظ بريطانيا ب10آلاف جندي في منطقة القناة

-إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة وتأييد مصر في دخول عصبة الأمم

-عودة الجيش المصري إلى السودان وبقاء الحكم ثنائيا فيها

-حق بريطانيا في إستخدام أرض مصر ومواصلاتها في حالة الحرب[2]

واعترفت بريطانيا بسيادة مصر وتحالف الدولتين ضد أي إعتداء أجنبي، وحددت مدة المعاهدة ب20سنة وصادق على المعاهدة المجلس النيابي المصري ومجلس العموم الانكليزي، أدت هذه المعاهدة إلى إنقسام الوفد على نفسه وخرج علي النحاس وبعض كبار أعوانه أدى ذلك إلى إضعاف حزب الوفد الكبير،وانتقد المعارضون المعاهدة لأنها نصت على إنهاء الإحتلال ولكنها سمحت ببقاء قوات الإحتلال في القناة،كما أنها معاهدة جعلت مصر قاعدة للجيوش الانكليزية [3]

قبل إنتهاء الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة استغت القواة البريطانية عن وزارة الوفد عام 1944م وبدأت الحكومة المصرية الجديدة بتخفيف القيود التي فرضتها الحرب،فقد رفعت الأحكام العرفية وتظاهرت بتبني مطالب الشعب في الاستقلال والجلاء فاستوقفت

---

[1] اسماعيل احمد ياغي،مرجع سابق،ص268

[2] المرجع السابق ،ص268 .

[3] اسماعيل احمد ياغي ،محمود شاكر،تاريخ العالم الاسلامي الحيث والمعاصر،مرجع سابق،ج02،ص40

المفاوضات الإعادة النظر في معاهدة 1936م وبعد أن تأسست هيئة الأمم المتحدة وأصبحت مصر عضوا فيها على قدم المساواة مع بريطانيا،بدأت المفاوضات غير أنها تعثرت كثيرا بسبب رغبة بريطانيا في الإحتفاظ بالسيطرة على مصر والسودان،ولاسيما أنها انتصرت في الحرب [1]

وأدركت أن القصر الملكي لم يكن جادا في إنهاء إرتباطه مع بريطانيا، لكن المظاهرات الشعبية قامت في الإسكندرية والقاهرة بعنف ضد الانكليز وانفجرت المشاعر بعد طول كبت في الحرب،فقتل عدد من الطلبة وأصيب الكثيرون، فكان لتلك الأحداث أثرها على الموقف البريطاني، وتوصل الطرفان إلى الإتفاق على" مشروع بيفن " سنة 1946م وقوبل المشروع بالسخط ولاستنكار لأنه يربط مصر ببريطانيا بصورة دائمة فهو يدعوا إلى الدفاع المشترك بين البلدين ويكسب بريطانيا نوعا من الوصاية على مصر، فلم توافق الحكومة المصرية على هذه المعاهدة لأنها لاتحقق مطالب الشعب في الجلاء والاستقلال

لم تعترف بريطانيا بما أعلنته الحكومة المصرية بخصوص إلغاء معاهدة 1936م وأدى ذلك للإصطدام بين المصريين والقوات البريطانية في منطقة القتال [2]

أن الأحزاب في مصر كانت مصرة على الاستقلال والجلاء التام عن أرضها إلا أن السلطات البريطانية كانت تبرم اتفاقيات ومعاهدات تخدم مصالحها أكثر من مصالحهم ،وكانت تقابلها بالرفض التام،حيث تقوم السلطات البريطانية بحل الأحزاب وتفرقة زعمائها وسجهم في السجون ،وهذا ما يؤدي بالشعب المصري إلى الرد بالاضرابات ونشر الفوضى في البلاد .

---

[1] احمد اسماعيل ياغي :مرجع سابق ،ص269 .

[2] احمد اسماعيل ياغي :مرجع سابق ،ص270 .

المبحث الثاني : استقلال البلدين

اولا: تونس

في منتصف عام 1940 وقعت تونس تحت سلطة حكومة فيشي الفرنسية ، وفي نوفمبر 1940م احتلت البلاد القوات الالمانية والايطالية ، انتهز الباي محمد المنصف ، ضعف الموقع الفرنسي ، فشكل برئاسة محمد شنيق لتفويض نظام الحماية ، لكن القوات الفرنسية استردت سلطتها على البلاد بعد دخول القوات الانجلوامريكية اليها ، في ماي 1943م ، وعندئذا قالت فرنسا حكومة شنيق،ونفت باي تونس الى جنوب الجزائر بحجة دعمه ومساندتها السياسية في تونس واعادت النظام الاداري الاستعماري الذي كان قائما قبل الحرب.[1]

واصبح من السهل اتهام اي وطني بالتعاون مع المحور واعدامه ،وضعف نشاط الاحزاب السياسية، وفر الزعماء الذين نجو من الاعتقال او القتل الي القاهرة ودمشق وجعل بورقيبة القاهرة مركزا لنشاطه (1945_1949) وبرزت في ميدان النضال في هذا الوقت نقابات العمال وكان العمال التونسيون من قبل قد انخرطو في الاتحادات الفرنسية وبعد الحرب العالمية الثانية استعادت الاحزاب السياسية نشاطها بالتعاون مع النقابات لا سيما ان الحرب العالمية الثانية قد انتهت بوعود تقرير المصير .[2]

الاستقلال :

[1] اسماعيل احمد ياغي ، محمود شاكر: مرجع سابق ،ص110 .

[2] احمد اسماعيل راشد : مرجع سابق ، ص107

رجع الحبيب بورقيبة من فرنسا بعد ان ربط نفسه وبلاده باتفاقيات ثقافية واقتصادية مع فرنسا وبناء عليه ، نم توقيع وثيقة الاستقلال بشكل سريع ، وحصل هو علي مركز ممتاز ، ودعم لنيل مكافات مقابل ما بذل ، ومن المعروف ان الصليبية الفرنسية ترتكز علي الجوانب الثقافية اكثر من غيرها ، حيث ترى ان ترسيخ افكار معينة ومفاهيم خاصة ، ولو كانت مادية واحلالها محل الافكار الاسلامية ، وهو الهدف الرئيسي لها ، وهو ما تعمل له النصرانية ، كما كان الحبيب بورقبة قد حصل التاييد السياسي من الولايات المتحدة الامريكية عندما انتقل اليها من القاهرة ، و في هذه المرحلة كانت تسعي الولايات المتحدة الامريكية لان تحل محل انجلترا ، وفي فرنسا في مناطق نفوذها ، لذلك دعمت بورقيبة ليكون صنيعتها في تقوية النفوذ الامريكي في تونس.[1]

نشطت الحكومة التونسية فب عرض قضيتها علي مجلس الامن ، وهيئة الامم المتحدة في اواخر عام 1951 لكنها لم تنجح في ادراج القضية الذي تحقق سنة 1952 ، لكن لم تحصل علي شيى ايجابي نظرا لمقاطعة مندوب فرنسا للجلسات ، وبعد ذلك لجا التونسيون الي النضال المسلح لمقابلة الارهاب والعنف الفرنسي بمثله بعد ان ثبت فشل النضال السياسي ، فقامت فرق النضال التونسية بقطع اسلاك الهاتف وتخريب السكك الحديدية وغيرها ، مما ادي بالجمعية العمومية للامم المتحدة الي بحث قضية تونس في عام 1953 فطالبت فرنسا بحل قضية تونس علي اساس العدل واضطراب فرنسا ازاء نضال التونسيين و ازاء موقف الرأي العالمي الي التراجع[2]

[1] محمود شاكر : مرجع سابق ، ص169 .

[2] اسماعيل احمد ياغي ، محمود شاكر، مرجع سابق ، ص113 .

حصلت البلاد علي الاستقلال في مارس 1956 وكانت وزارة الطاهر بن عمار الثانية هي التي تحكم البلاد وما دام قد تغير الوضع فلا بد من ان تقدم الحكومة استقلالها ، وخاصة ان الطاهر لم يكن من اعضاء الحزب الدستوري الجديد الذي تم الاستقلال باسمه ، كما قدم استقالة حكومته ،لامين فعلا وحسب القواعد الدستورية و الديمقراطية الي بورقيبة بتشكيل حكومة تبدا بالبناء علي اساس ان البلاد قد حصلت علي الاستقلال ، وفي 15افريل شكل الوزارة ، وكان همه الاول ترسيخ قواعده ، ولن يكون هذا الا بازاحة خصومه ، لذا عمل علي تصفية فانهار خصمه السياسي صالح بن يوسف ، واستمر ما يقارب سنة ولما انتهي منهم اتجه الي ازالة من فوقه[1]

وهكذا دخلت تونس عصر استقلالها الكامل،وشرعت تبني نفسها على اسس عصرية حديثة ،ففي المجال الداخلي عمات الحكومة التونسية على تصفيت القواعد العسكرية الاجنبية، وكان اخر جلاء لفرنسا من قاعدة بنزرت سنة 1963م ،و تخلصت البلاد من التبعية الاقتصادية لفرنسا،اما في الميدان الدولي فقد انضمت الى الجمعة العربية سنة1958م ،وهيئة الامم المتحدة عام 1956م ،وعقدت معاهدة الاخوة مع ليبيا والمغرب سنة 1957م،كما تعاونت مع الثورة الجزائرية و قدمت لها الارض التونسية كقاعدة انطلاق، واتبعت سياسة مستقلة مع الدول العربية، وهذا ما جمد نشاطها ضمن الجامعة العربية في بعض المرات، وجعل اشتراكها في مؤتمر القمة محددا.[2]

وانصرف تونس الى التعاون مع الدول الغربية واعتمدت على مساعدتها في التنمية الاقتصادية، اما حاكم تونس بورقيبة فقد جدد انتخابه لرئاسة تونس مدي الحياة،فاستبد في

[1] محمود شاكر :مرجع سابق ، ص171

[2] اسماعيل احمد ياغي ،محمود شاكر :تاريخ العلم الاسلامي الحديث والمعاصر، ج2 ،مرجع سابق ،ص114 .

حكمه و استعبد الشعب ،و خالف مبادئ الدين الاسلامي ،وتصرف باستهتار كبير عن كل القيم ، ولما مقته الشعب خافت الدول النصرانية من نشاط الحركة الاسلامية ،فاستبدلته برجل اكثر قسوة هو رئيس الوزراء زين العبدين بن علي ،وذلك في 7 نوفمبر 1987م، الذي كان وزيرا للداخلية في وزارتي محمد مزالي، ورشيد صفر ثم كلف بالوزارة الولى في 2 اكتوبر 1987م ،وبعد اقل من شهر قام بحركته وابعد الحبيب بورقيبة عن الحكم وتسلمه مكانه ،فعادت الحيوية للحكم التونسي مع استبدال الحاكم.[1]

ثانيا: مصر

التناقضات الاساسية في المجتمع المصريقبيل ثورة 1952م :

كانت ثورة 1952م ضرورة حتمية لحسم التناقضات قوى الشعب وبين القوى المعادية لها،و التي تقف في طريق تقدمه وانطلاقه ،بحكم ما كان لها من مصالح طبقية تحرص كل الحرص على التمسك بها، وقد ادى استقطاب كل من المعسكرين: معسكر الثورة من ناحية ،ومعسكر اعدائها من ناحية اخربالى دخول مرحلة التنفيذ.[2]

وفي 25 يناير1952 م وقعت مذبحة الاسماعيلية ،فقد هددت القوات الانجليزية المدينة و هاجمت مبنى المحافظة ،و صدرت الاوامر من الحكومة المصرية لقوات الشرطة بالتصدي للقوات البريطانية المهاجمة بمدافعها،كما اشترك الاهالي مع قوات الشرطة في التصدي لها،و ترتب عن ذلك استشهاد خمسين رجل من الشرطة وعدد من الاهالي.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص114 .

[2] محمد محمود السروجي: مرجع سابق ، ص197 .

[3] شوقي الجمل: مرجع سابق ، ص62 .

ـ **حريق القاهرة 26 يناير1952م** :كشفت مذبحة الاسماعيلية عن ضعف الحكومة وتعريضها حياة المواطنين للخطر، باتخاذها قرارات خطيرة دون تدبير نتائجها وتناولت حوادث لاضطرابات ،وفي هذه الاثناء شب حريق القاهرة الذي اتى على مناطق عديدة منها الاوبرا والكثير من دور السينما.

وتعاقب على حكم مصر خلال ستة الاولى من عام1952م اربع وزارات،وهكذا كان و لابد من حدوث تغيير سريع وجذري يعيد الامور لنصابها، وفي صبيحة يوم 23 جويلية 1952م تحرك الضباط الاحرار لوضع حد لهذه الاضطرابات التي كانت تخيم على جو مصر.[1]

ـ **ثورة 23 جويلية 1952م** : نفذ الجيش المصري ثورته في فجر يوم 23 جويلية 1952م ،وأرغم الملك فاروق على التنازل عن العرش لابنه الصغير احمد فؤاد وعلى مغادرة البلاد في 26 جويلية ،وأقيم للملك الطفل مجلس الوصاية الذي الغي وبعد ذلك اعلن مجلس قيادة الثورة برئاسة محمد نجيب الغاء الملكية واعلان النظام الجمهوري عام 1953م، وحل الاحزاب السياسية والغاء الدستور الملكي الذي بدا في 1923م ،ووضع دستور جديد للبلاد ،وقد تولى جمال عبد الناصر الحكم على اثر استقالة محمد نجيب في 14 نوفمبر 1954م ،واصبح رئيسا للجمهورية عن طرية استفتاء شعبي جرى سنة 1956م.[2]

اعلنت الثورة المصرية عن اهدافها،وهي القضاء على الاستعمار ،والاقطاع والاحتكار، وسيطرة راس المال ،وتحقيق العدالة الاجتماعية ،اقامة جيش وطني قوي ،واقامة حياة ديمقراطية سليمة ،ورفع مستوى المعيشة وزيادة الانتاج ،كما عملت على تحقيق اهدافها

[1] شوقي الجمل : مرجع سابق ،ص63 .

[2] اسماعيل احمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص217

،فقامت بتحقيق الجلاء عن مصر و ذلك بتوقيع اتفاقية 1954م مع بريطانيا ،علما ان اتفاقية عام 1936م كانت مدتها 20 سنة و تنتهي عام 1955م ،وانتقدت المعاهدة الجديدة التي عدت بمثابة تمديد وتجديد لمعاهدة 1936 ،اذ جعلت المعاهدة الجديدة الحق لبريطانيا في العودة الى مصر ،واستخدام القناة فيما ان حدث اعتداء على تركيا وكان متوقعا ذلك ،وتم بموجبها جلاء الانجليز عن مصر سنة 1956م.[1]

1-اعلان الجمهورية: اعلن مجلس قيادة الثورة في عام 1953م ،قيام الجمهورية المصرية ،وفي سنة 1956م اعلن الرئيس **جمال عبد الناصر** الدستور الجديد ، متضمنا مبادئ المجتمع الجديد وموضحا حدود كل سلطة من السلطات الثلاث، ولما قامت الوحدة بين مصر و سوريا، اعلن الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة، لكن بعد نكست الانفصال صدر في 27 ديسمبر 1962م اعلان الدستور الجديد.[2]

2-الجلاء عن مصر: تعددت المفاوضات بين مصر وانجلترا بعد الحرب العالمية الاولى لحل مشكلة الوجود القوات البريطانية في مصر، وصدر تصريح 29 فبراير 1922م اعترفت فيه بريطانيا باستقلال مصر ،لكنها تحفظت على اربعة مسائل جعلت هذا الاستقلال صوريا،و في 1926م عقدت معاهدة التحالف بين مصر وانجلترا بموجبها تمركزت القوات البريطانية في منطقة القناة، ولم تنجح المفاوضات المتعددة بعد ذلك للوصول لاتفاق بشان جلاء هذه القوات نهائيا عن مصر.[3]

---

[1] اسماعيل احمد ياغي المرجع السابق ، ص272 .

[2] شوقي الجمل: المرجع السابق ،ص69 .

[3] نفسه ،ص70

خاتمة

خاتمة:

كان التنافس على أشده بين الدول الاستعمارية في القرن 19م على الدول الإفريقية، وخصوصا تلك التي تتمتع بموقع استراتيجي ومميز، مثل ما هو الشأن بالنسبة لتونس ومصر، حيث كانت محط انتباه كل من فرنسا وبريطانيا، فعملت كل منهما على استعمار الدولتين من أجل اكتساب عديد الامتيازات وخاصة في المجال الاقتصادي، وذلك نظرا للموقع الهام الذي تحظى به كل من تونس ومصر، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع استنتجنا عدة نقاط أهمها:

-نظرا للموقع الجغرافي في كل من تونس ومصر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وخاصة مصر التي تقع عند مجمع قارتي إفريقيا واسيا، إضافة إلى وجود قناة السويس بها التي أنشأت سنة 1869 م هو ما جعل الاحتلال البريطاني يتمسك بنفوذه في السويس وايضا توضع تونس بين الحوضين الشرقي و الشمالي للبحر المتوسط واحتوائها علي مرافئ هامة جدا كمرفئ بنزرت وجربة ،كذا حدودها مع الجزائر زاد من رغبة الاستيطان الفرنسي في بسط نفوذه في هذا البلد.

-كما أن الأوضاع السياسية والإقتصادية لكل من تونس ومصر مهدت الطريق للاحتلال،خاصة ان البلدين كانا تحت سلطة الدولة العثمانية التي بدات تضعف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي مما زاد من اطماع الدول الاستعمارية ، وتدهور الاوضاع السياسية والاقتصادية لتونس ومصر نتيجة للصراع على السلطة و ايضا التقرب للدول الاوروبية من اجل حل المشاكل الاقتصادية ،حيث أن الباي أحمد أخطأ عندما سعى للتقرب من فرنسا، كما أنه فشل في استقرار اقتصاد البلاد وفشله في الموازنة بين الدخل والإنفاق، وفرضه للضرائب التي أثقلت كاهل الشعب، وحتى الذين خلفوه لم يتمكنوا من تحسين الأوضاع، بل ازدادت تدهورا وتراكمت الديون على البلد حتى بلغت 150مليون فرنك

وعجزت الدولة عن تسديده مما سهل الاحتلال الأوروبي، أما في مصر فكان السبب في احتلال الأوروبيين لها هو الأزمة المالية وكذلك القروض بالإضافة إلى الامتيازات الأجنبية

-نجحت كل من فرنسا وبريطانيا من التدخل في شؤون تونس ومصر وتمكنتا من فرض الحماية على البلدين بادعاء حمايتهما من الخطر الأجنبي ونشر الأمن والاستقرار،ولكن الشعب لم يصمت في البلدين بل قام بمحاربة العدو حيث استخدمت تونس لغة السلاح وذلك من خلال المقاومات الشعبية، ومثال ذلك:المقاومة المسلحة في الجنوب(صفاقس وقابس)،أما مصر فاستحبت الكفاح السياسي على المسلح، حيث ظهر فيها العديد من الأحزاب ومثال ذلك حزب تونس الفتاة والحزب الوطني،ورغم هذا لم يستمروا بل انتقلوا إلى الكفاح المسلح ومثال ذلك ثورة1919م،أما من ناحية النظام فان فرنسا عملت بالنظام المباشر، أما بريطانيا فعملت بالنظام الغير مباشر.

-نجحت الحركات الوطنية في الوصول للاستقلال وذلك بما قامت به من ثورات ولإسكاتها عملت الدول الاستعمارية على عقد اتفاقيات ومعاهدات ولكنها كانت تخدم مصالحها أكثر من مصالح البلدين فقوبلت بالرفض وواصل الشعب كفاحه في البلدين وظهرت الأحزاب ، لان المستعمر كان يقوم بقمعها،واستمرت هذه الأحزاب في المطالبة بالاستقلال حتى توصلت إليه بعد جهود دامت من 1881- 1956 م في تونس، اما مصر فمن 1882-1952م،بحيث لقيت كل من فرنسا و بريطانيا مقاومة شرسة كبدتهما العديد من الخسائر البشرية و المادية ،منذ بداية الاحتلال الى ان حصل البلدان على استقلالهما سواء عن طريق الكفاح المسلح او الكفاح السياسي .

رغم الدراسات الحاصلة حول التوسع الاستعماري إلا انه لازال هناك العديد من الجوانب الخفية لهذه الظاهرة لم تحظى بفرصة الدراسة ،و اهتمام الباحثين وفي الخير نرجو ان يلقي هذا الموضوع المزيد من الدراسات الاكاديمية لمعالجة الالتباس و الغموض الذي يحيط به.

الملاحق

اولا: ملاحق وثائقية

ثانيا: ملاحق الخرائط

ثالثا:ملاحق الصور

ملحق الوثائق

ملحق رقم : 01

معاهدة باردو أو قصر السعيد

إن دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس– لما كانا من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وان يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار– قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على البنود الآتية:

البند الأول: إن معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني: لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية والتونسية، وتقرران معا بأن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث: تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع: تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس: يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهم الجانبين.

البند السادس: يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدما.

البند السابع: تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحق الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن: تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع: لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فان دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربية الأخرى بالمملكة التونسية.
البند العاشر: يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في اقرب وقت ممكن.[1]

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881م

الإمضاء: محمد الصادق باي – العماد برييار

[1] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 21.

ملحق الخرائط

رقم الملحق:01[1]

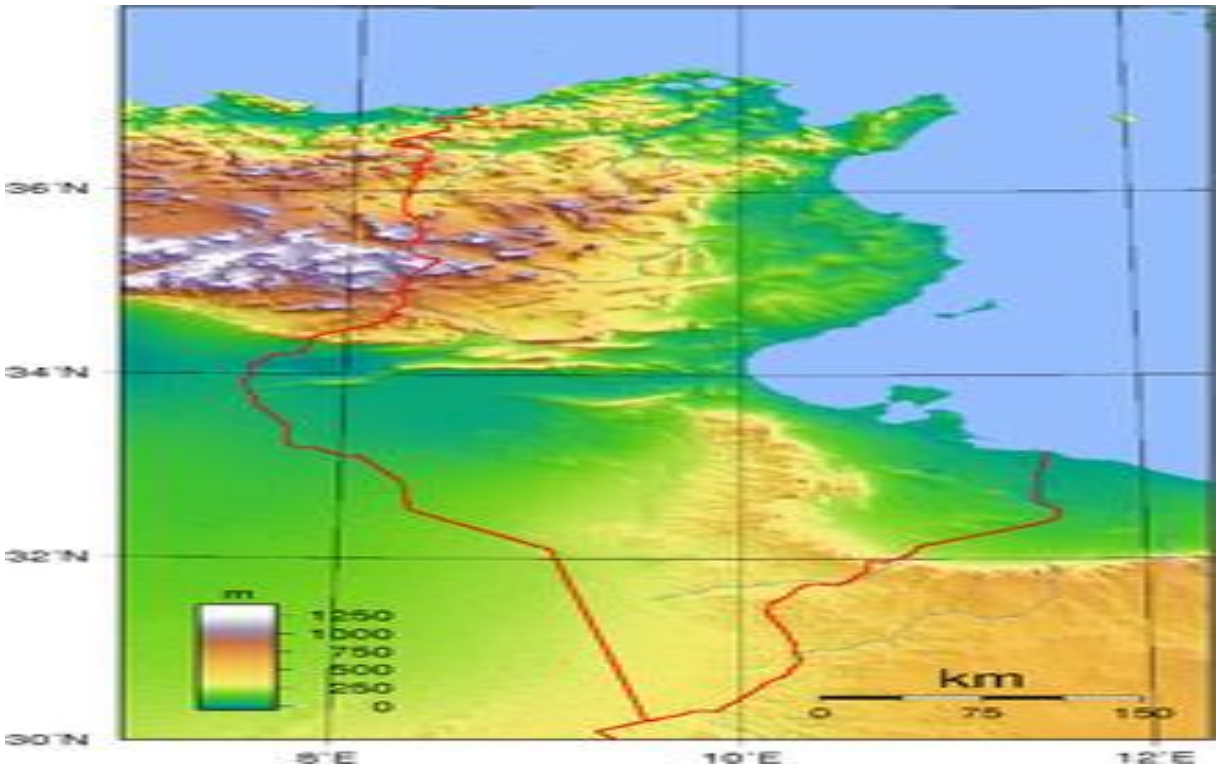

خريطة تونس

[1]. www.wapedia4-kawsanfra.com

الملحق رقم:02

خريطة مصر[2]

[2] امنة ابو حجر: المرجع السابق ،ص479 .

الملحق رقم 03

[3]خريطة مصر في العصر الحديث للدولة العثمانية

[3] www.alam almaarifa.com ,21/04/2014 ,18 :45

04 رقم الملحق:

أهمّ مـــعـــارك المـــقـــاومـــة
(1882-1881)

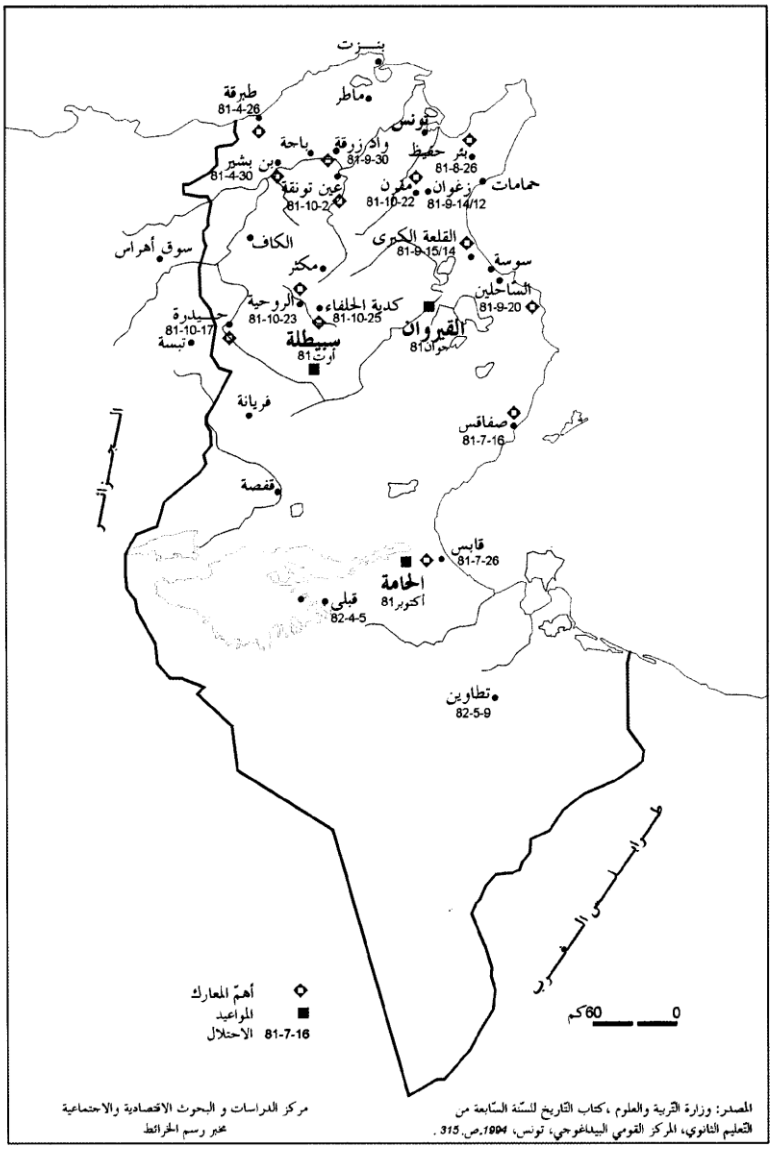

اهم معارك المقاومة

[4]خليفة شاطر :المرجع السابق ، ص25 .

رقم الملحق :05[5]

[5] خليفة الشاطر:تونس عبر العصور ،ج3 ،مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية ،تونس ، 2005 ، ص15 .

اشتدّت الأزمة السياسية بالبلاد عند القطيعة بين البيليك والرعيّة واستحكام العنف. وتوجّهت المحلات لإخماد الانتفاضة بالشمال والوسط الغربي ثمّ السواحل الوسطى وانتقمت من المنتفضين بشدّة.

انتفاضة ماي 1864 وتوجّه المحلاّت

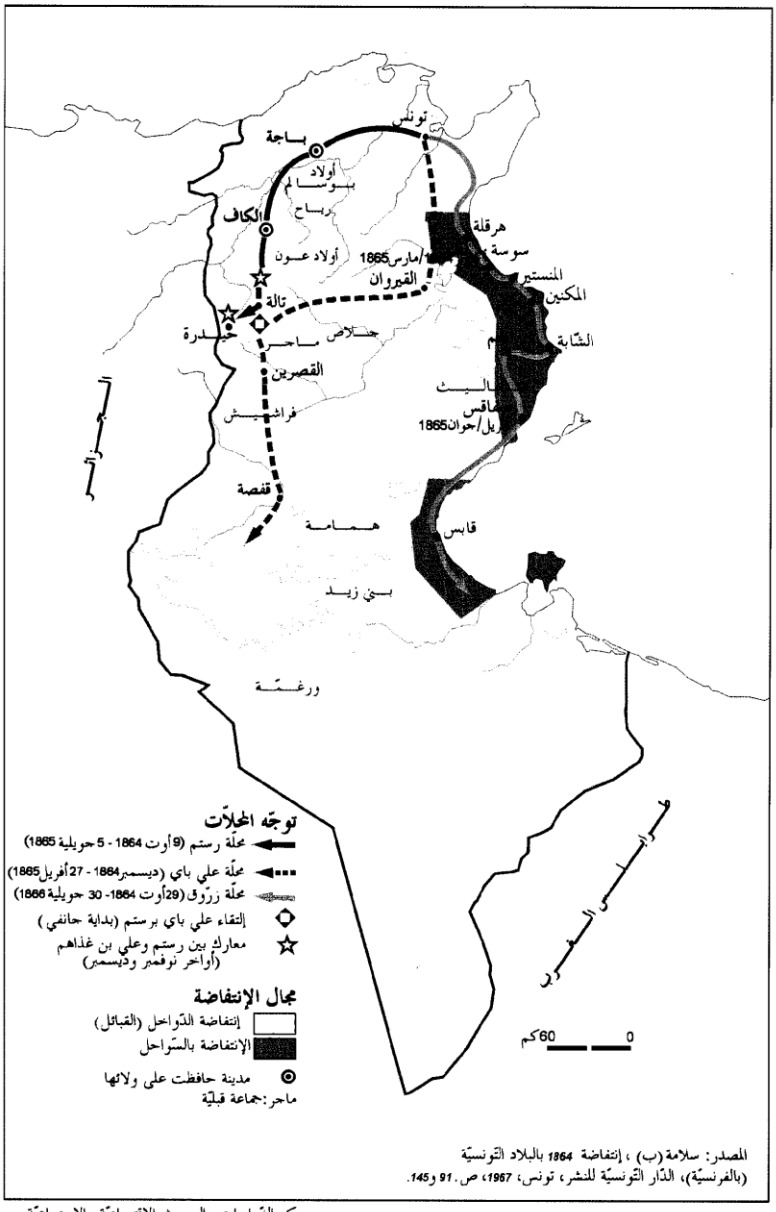

المصدر: سلامة (ب) ، إنتفاضة 1864 بالبلاد التونسيّة (بالفرنسيّة)، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، 1967، ص. 91 و145.

مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة
مخبر رسم الخرائط

اشتدّت الأزمة السياسية بالبلاد عند القطيعة بين البيليك والرعيّة واستحكام العنف. وتوجّهت المحلات لإخماد الانتفاضة بالشمال والوسط الغربي ثمّ السواحل الوسطى وانتقمت من المنتفضين بشدّة.

انتفاضة ماي 1864 وتوجّه المحلاّت

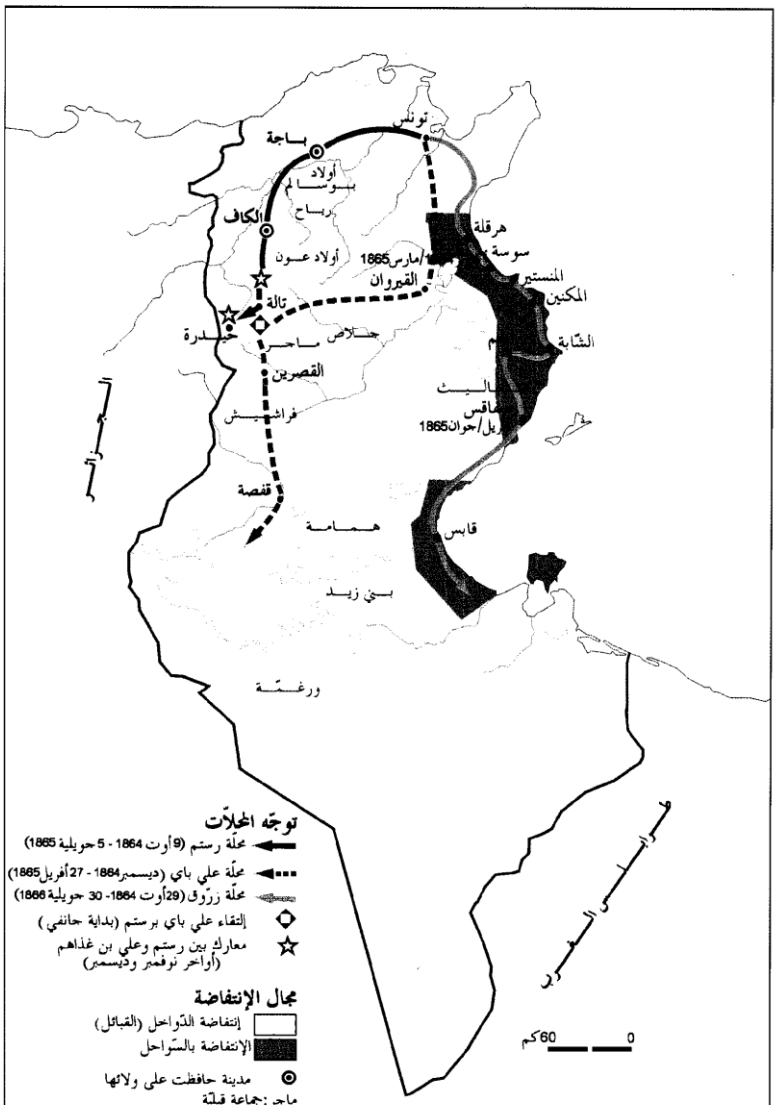

المصدر: سلامة (ب) ، إنتفاضة 1864 بالبلاد التونسيّة (بالفرنسيّة)، الدّار التونسيّة للنشر، تونس، 1957، ص. 91 و145.

مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة
مخبر رسم الخرائط

6

6

ملحق الصور

الفهارس

فهرس الاعلام

حرف الالف

- أ حمد باشا : ص17 ،18، 23
- أحمد بن يوسف : ص32 ، 36
- أحمد عرابي : ص43
- أحمد فؤاد : ص74
- إسماعيل صدقي : ص62 ،64

حرف الباء

- الباي حمود باشا : ص 19،20
- الباي حسن بن علي : ص20
- الباي محمد الثاني : ص18
- الباي محمد الصادق : ص18
- الباي محمد الناصر : ص55، 57
- الباي محمد المنصف : ص70
- بوعمامة : ص32

حرف الجيم

- جمال الدين الأفغاني : ص43، 55
- جمال عبد الناصر : ص74
- الجنرال لورجيرو : ص33
- الجنرال فانسيندون : ص33
- الجنرال سوسييه : ص38
- الجيلاني الحبيب : ص41
- جول فيريج : ص45

حرف الحاء

- الحاج أحمد بن جراد : ص41
- الحاج حسين مسعي : ص 32، 36
- الحاج علي الحراث : ص36
- الحاج محمد بن أحمد : ص34
- الحبيب بورقيبة : ص57، 58، 59 ص70،ص71،ص72، 73
- الحبيب ثامر : ص60
- حسين رشدي : ص62، 63
- حمد الصافي : ص56
- حمودة بن عبد العزيز : ص19

حرف الخاء

- الخديوي اسماعيل : ص31، 30
- الخديوي عباس : ص50

حرف الراء

- روستان :ص39

حرف الزال

- الزين العابدين بن علي : ص73

حرف السين

- سعيد باشا : ص30
- سعد زغلول :ص60، 61، 62، 63، 64، 65، 66

فهرس الاعلام

_ السلطان محمد فؤاد : ص64

_ السلطان محمود : ص17

_ سليم الاول العثماني : ص22

_ سيد علي الكراي : ص39

حرف الصاد

_ صالح بن يوسف : ص72

حرف العين

_ عبد الحميد :ص29

_ عبد الخالق ثروت ص67

_ عبد العزيز الثعالبي : ص55،ص57 ص58

_ علي ابو شوشة : ص54

_ علي باشا : ص16

_ علي بن خليفة : ص32،ص36،ص37 ص39،ص40

_ علي بن عمارة : ص32،ص36

_ علي الشعراوي : ص60

_ علي ماهر : ص68

_ عدلي يكن : ص60،ص61،ص65

حرف الطاء

_ الطاهر بن عمارة : ص72

حرف الفاء

_ فرديناندیلسس : ص31

حرف القاف

- القائد حسونة الجلولي : ص38،ص39
- القائد سنان باشا :ص16
- القنصل وسان : ص28

حرف الكاف

- الكولونيل جامي : ص41

حرف اللام

- اللورد كرومر : ص50
- اللورد اللنبي : ص63

حرف الميم

- محمد باسل: ص62
- محمد بن محمد بن يوسف : ص19
- محمد توفيق نسيم :ص68
- محمد حسين : ص65
- محمد شريف : ص32،ص39
- محمد شنيق : ص70
- محمد عبده : ص43،ص55
- محمد علي باشا : ص30،ص42

فهرس الاعلام

- محمد فريد : ص55
- محمد كمون : ص55
- محمد الماطري : ص58
- محمد محمود : ص62
- محمد نجيب : ص74
- محمود شاكر : ص64
- مصطفى بن اسماعيل : ص39
- مصطفى كامل : ص43،ص44 ص55،ص56
- مصطفى النحاس باشا : ص68
- الملك فؤاد : ص74
- الملك فاروق : ص74
- ملنر : ص63،ص64

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن

حرف الالف

- اسطنبول : ص22
- الاسكندرية : ص63
- الاسماعيلية : ص74
- اسيا : ص21
- اصوان : ص21
- اقريقيا : ص21
- المانيا : ص28
- انجلترا (بريطانيا) : ص18،23، 28،30،31،44،50 51،61، 63،64، 66،67،68،69،70،71، 74،75
- اوروبا : ص20 ،21 ، 57
- ايطاليا :ص18 ،28 ،39 ،56

حرف الباء

- باجة : ص35
- باريس : ص56، 59، 63، 64
- بغداد : ص55
- بنزرت : ص16، 28، 29، 72

حرف التاء

- تونس : ص15،16،17، 19،20 ،27 28، 30،32،34،35، 36 ،45، 47،48،49،54، 55،56، 57،58، 59، 70،71، 72، 73

حرف الجيم

- جربة : ص15
- الجزائر : ص15 ،23 ،30، 32، 33، 70
- جزيرة سردينيا : ص27 ،28
- جزيرة سيناء : ص21
- جزيرة صقلية : ص15 ،28

حرف الدال

- دمشق : ص70
- الدولة العثمانية : ص17، 22 ،23 ،27 28 ،30 ،35 ،38 ،44 ،56

حرف السين

- سوسة : ص39
- سوريا : ص75
- السودان : ص65 ،67 ،69
- السيشل : ص66

حرف الصاد

- صفاقس :ص32 ،37 ،38 ،39 ،40 ،41

فهرس الاماكن

حرف العين

- عنابة : ص34
- عدن : ص66

حرف الطاء

- طبرقة : ص29 ،33
- طرابلس الغرب : ص 33
- طرابلس : ص41

حرف الفاء

- فرنسا : ص17 ،18 ،23 ،27 ،28 ،29 ،30 ،31 ،38 ،39 ،43 ،44 ،45 ،47 ،48 ،51 ،57 ،59 ،70 ،71 ،72
- فلسطين : ص55

حرف القاف

- قابس : ص32 ،37 ،39 ،41
- القاهرة : ص23 ،62 ،63 ،66 ،70 ،71 ،74
- قسطنطينية : ص24
- قرقنة : ص15
- قفصة : ص40
- قناة السويس : ص22 ،30
- القيروان : ص32 ،37 ،38

حرف اللام

- لندن : ص63 ،66
- ليبيا : ص56 ،72

حرف الميم

- مرسيليا : ص59
- مصر : ص21 ،22 ،23 ،30 ،31 ،43 ،44 ،45 ،49 ،50 ،51 ،52 ،54 ،55 ،60 ،61 ،62 ،63 ،64 ،66 ،67 ،68 ،69 ،70 ،74 ،75
- المغرب : ص72

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

	–

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن

فهرس القبائل و المجموعات

حرف الالف

- أولاد بو سعيد : ص33
- أولاد بو سليم : ص34
- أولاد سعيد : ص36 ،37 ،39
- أولاد عمر : ص33
- أولاد عون : ص36
- أولاد عيار : ص32 ،35 ،36
- أولاد وزار : ص36
- أولاد يدير : ص36

حرف الباء

- بني زيد : ص39 ،41

حرف الجيم

- جلاص : ص 35 ،36 ،40

حرف الحاء

- حازم : ص41
- الحمدان : ص34
- الحوامد : ص33

حرف السين

- السواسي : ص36

حرف الفاء

حرف الميم

- المثاليث : ص36 ،38 ،39
- مقعد : ص34 ،35

حرف النون

- نفات : ص35 ،36 ،39 ،41

حرف الهاء

- هذيل :ص34
- الهمام : ص35 ،36 ،40

حرف الواو

- ورغمة : ص41

فهرس القبائل و المجموعات

- الفراشيش : ص35 ،36 ،41

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس القبائل و المجموعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الشكر و التقدير	
الاهداء	
مقدمة	من أ _ ز
الفصل الاول : لمحة تاريخية عن تونس و مصر قبل الاحتلال	من 15 _ 27
تمهيد	15
المبحث الاول : لمحة تاريخية عن تونس	15
المبحث الثاني : لمحة تاريخية عن مصر	21
الفصل الثاني : اخضاع البلدين للاحتلال	من 28 54
المبحث الاول : بداية الاحتلال	28

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني : ردود الفعل في كل من تونس و مصر	31
المبحث الثالث : السياسة الاستعمارية في كل من تونس و مصر	45
الفصل الثالث : حركات التحرر في تونس و مصر و استقلال البلدين	من 54 _ 76
تمهيد	54
المبحث الاول : الحركة الوطنية في تونس و مصر	54
المبحث الثاني : استقلال البلدين	70
خاتمة	78
ملاحق	80
قائمة المصادر و المراجع	93
الفهارس	98

فهرس الموضوعات

فهرس الاعلام	99
فهرس الاماكن	102
فهرس القبائل و المجموعات	104
فهرس الموضوعات	105

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

اولا : المصادر

1. عبد العزيز الثعالبي:"**تونس الشهيدة**"،ط1 ،تر و تق سامي الجندي ، دار القدس ، بيروت، 1975 .
2. عمر الاسكندري ،سليم حسن : **صفحات من تاريخ مصر،تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحضر**،ج6 ،ط2،مكتبة مدبول ، القاهرة 1996م .
3. محمد الميلي:**المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامع الشعوب** ،دار الكلمة بيروت ، 1983م .

ثانيا: المراجع

1. احمد اسماعيل راشد :**تاريخ اقطار المغرب العربي (ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا)**، ط1 ، دار النهضة العربية،بيروت ، لبنان، 1425هـ/2004م .
2. احمد امين: **زعماء الاصلاح في العصر الحديث** ،ط1 ،دارالكتاب العربي، بيروت ، لبنان ،"د س".
3. احمد القصاب: **تاريخ تونس المعاصر(1881- 1956م)** ،ط1 ،تع، حمادي الساحلي ،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس ،**1986م**.
4. اسماعيل احمد ياغي ،محمود شاكر: **تاريخ العالم الاسلامي الحديث و المعاصر**،ج2، دار المريخ ، الرياض ،1993م .
5. بلقاسم بن محمد بن جراد:**قابس عبر التاريخ (استعراض تاريخ قابس عبر العصور التاريخية وما قبلها)** ، مطبعة الخدمات السريعة قابس ، تونس ،2001 .

6. التليلي العجيلي:**الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939م)**،كلية الاداب بمنوبة،جامعة تونس ،1992م .

7. حلمي محروس اسماعيل:**تاريخ افريقيا الحديث و المعاصرمن الكشوف الجغرافية الى قيام منظمة الوحدة الافريقية**،ج1 ،مؤسسة شباب الجامعة،"د ن "،د س" .

8. خليفة الشاطر واخرون: **تونس عبر التاريخ من الحركة الوطنية الى دولة الاستقلال**،ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.

9. شوقي ابو خليفة: **الاسلام وحركات التحرر العربية**، ط1ن، دار الرشيد،دمشق،1976.

10. شوقي عطا الله الجمل:**تاريخ مصر المعاصر**،"د ن"، "د س"

11. شوقي عطا الله الجمل،عبد الله عبد الرازق ابراهيم، **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الزهراء، الرياض، 2002.

12. عبد العظيم رمضان: **تاريخ المصربون مصطفى كامل في محكمة التاريخ**، مكتبة الاسكندرية، 1987.

13. عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، 3اجزاء، ط1، دار الغرب الاسلامي، 2005.

14. علي المحجوبي: **ما يجب ان تعرف عن انتصاب الحماية بتونس**،تع عمر بن ضو واخرون، دار سراس، تونس1986.

15. الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية(رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956)**، ط2، دار المصرفية، تونس،"د س"

16. محبات الشرابي:**اقليم مصر السياحية(دراسة في الجغرافية السياحية)**، ط1، دار الفكر العربي، 1991.

17. محمد عبد الله عودة-ابراهيم ياسين الخطيب **تاريخ العرب الحديث**، ط1، الاهلية للنشر، عمان، 1993.

18. محمد علي القوزي: **دراسات في تاريخ العرب المعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت، 1999.

19. محمد محمود السروجي: **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، "د ن" 1998.

20. محمد الهادي الشريف: **مايجب ان تعرف عن تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الاستقلال**،ط2، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس،1993.

21. محمود شاكر :**التاريخ المعاصرفي بلاد المغرب**، ط2، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، 1996.

مراجع باللغةالاجنبية

1- Charles andr julien,**l frique du nord nationalisme nusulmanset sauverainete**, francaise,ed, jullaird France,1972

الموسوعات:

1.امنة ابو حجر: **موسوعة المدن العربية**،ط1، دار اسامة، الاردن،عمان، 2002م

2.عاطف عبد: **الحضارات في الذاكرة العالم العربي تاريخ وسياسة وحضارة "تونس"**، ج6, "دط", "د ن"، 2003-2004م

الرسائل

1.قدادرة شايب: **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954م "دراسة مقارنة"**،اطروحة دكتوراه،جامعة منتوري، فسنطينة، 2006-2007م

المواقع الالكترونية:

www.wapedia4-kawsanfra.com.

www.alam almaarifa.com